إبداعات جديدة

٧

قلوب حائرة وحكايات أخرى

هالة فؤاد

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة
د. حسن أبو طالب

سلسلة إبداعات جديدة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فؤاد، هالة.
قلوب حائرة وحكايات أخرى/ هالة فؤاد. - ط ٠١ - القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٥.
١٨٠ ص؛ ١٩,٥ سم. (إبداعات جديدة، ٧).
تدمك ٦ - ٨٢١٠ - ٠٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨.
١ - المشاكل الاجتماعية.
(أ) العنوان.

ديوى ٣٦٢,٠٤٢

رقم الإيداع ٩٨٣٩ / ٢٠١٥ ١ / ٢٠١٠/٤٦

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
– ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة –
جمهورية مصر العربية

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت
إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهـــداء

إلى منـــة الله طاهر، إبنة أختى وصديقتى هالة عبد النعيم برية عاشقة للبهجة أحبك الله فاختارك لجنّته؛ ليحمى قلبك من أن يصبح يوما فى هذه الدنيا من القلوب الحائرة.

مقدمة

لـكل منـا قلب وحلم. قلـب يخفق يضطرب يعشـق ويحلم أن يجد الآخـر الذى يكتمل بـه وتصبح الحياة أجمل معه. أحيانا يتحقق الحلم ويصـل القلب لمبتغاه فيهدأ ويسـتقر، وأحيانا يضيـع الحلم ويتوه فى صخب الحياة وتعقيداتها وتشـابك أحداثها وتناقض أحكامها وصعوبة تفاصيلها. وهنا يدخل القلب فى دوامة من الحزن تتقاذفه أمواج الحيرة والـتردد والقلق تارة وتغرقه بحار الخديعة والخيانة والغدر تارة أخرى، وتدميـه الوحدة والفراغ والهجر أحيانـا كثيرة.. يضيع منه الآخر الذى طالمـا حلم به. لا يأتى الغائب الذى طالما انتظره، يفتقد الشـريك الذى كان مجرد وجوده يسـعده، أو يكتشف وجوها أخرى له متناقضة ليس بينها تلك الصورة التى رسمها له وعشقه بسببها.

مفاجـآت وتقلبات وتغـيرات الأهواء والقلوب، لا يسـلم أى منا من خبطاتهـا الموجعـة. وإن اختلفت ردود أفعالنا حيالهـا. بعضنا يتعامل معهـا بحكمة فيجتاز لحظات الألم بهدوء وبأقل خسـارة ممكنة. بينما يعجز آخر فتنقلب حياته رأسـا على عقب. يصبح فريسة سهلة للحزن والقلق والاضطراب. يشعر أنه لم يعد نفسه أو أن الآخر لم يعد كما كان. شـىء ما أصابه التغير، شـىء ما تحطم، هوى تمزق وتفرقت أشـلاؤه فضاعت معها أيام جميلة وتاهت معها ذكريات وعشرة طيبة كانت يوما ما بلسما يداوى الجراح والآلام. ليتحول إلى غصة نجتر مرارتها ونتحسر على أيام تسربت من بين أيادينا ولم تعد ولم نعد.. نهون معها.

كل منا مر بتلك اللحظة التى شعر فيها أنه غريب وسط غرباء لا يدرى عنهم شيئا ولا يدرون عنه شيئا. شعور قاتل بالألم والوحدة والمرارة بعدما غـاب عنـه الأحبة بفعل القـدر أو الظروف أو الأهـواء والمصالح. يقتله الحنين لأيام خوال كانوا فيها الصحبة والسند والأمان ثم غابوا فتجددت بغيابهم الأحزان.

إلى كل هـؤلاء المعذبين بنيران الأحباب نفتـح صفحات هذا الكتاب ربما يجد كل منهم صورة مشابهة لصورته حكاية تتماهى وقصته صوت يشبه صوت أناته وعذاباته. فيتأكد أن الحزن ليس من نصيبه وحده وأن آلامه يشـاركه فيها الكثيرون. يدرك أننا جميعا نغرق فى دوامة الحياة المهلكة الصعبة وأننا جميعا صورا متشابهة يجمعها الحزن والتعب. لكل منـا نقطة ضعف يغذيها أمل ضائـع أو حلم تائه أو أمل مفقود ونحتاج جميعا فى لحظة إلى آخر يحتوينا يسـمعنا يحتضن مشاكلنا ويستمع إلى صرخاتنا.

هذا الكتاب محصلة لعشرات المشكلات التى تلقتها كاتبة هذه السطور خلال إشـرافى على بـاب «قلبى معك» بمجلة آخر سـاعة والذى كان نافذتـى للولوج إلى هؤلاء الذين كبدتهم الحياة فوق طاقاتهم وضاقت بهم فبحثوا عمن يتلقف شـكواهم. وحاولـت أن تقوم كلماتى بتخفيف جزء ولـو قليل مـن آلامهم. وأملى أن يكون هذا الكتاب عونا لكل قلب حائر فيجد فيه راحته وحلا لمشكلته.

وينقسـم الكتاب إلى جزءين: الأول يضم المشكلات الأسرية من غيرة وملـل وجفـاء وبحث عـن بديل وتقلـب الأهواء إضافة إلى المشـكلات

الخاصــة بعقوق الوالدين والتفكك الأســرى والطــلاق. والثانى فيختص بتلــك المشــكلات العاطفية التى يعانى منها الشــباب مــن تردد وحيرة وانتظار ورغبــة فى التجربة وتقلب فى العواطف والأهم صعوبة الارتباط فــى ظل ظروف الحيــاة الصعبة من بطالة وفقر تجعل من الحب أحيانا ترفا وحلما بعيد المنال.

أخيرا أتقدم بالشــكر للأستاذ رفعت رشــاد رئيس تحرير مجلة آخر ســاعة الســابق والذى أدين له بالفضل فى إشرافى على باب قلبى معك والذى جاء باقتراح وتكليف منه فله منى جزيل الشكر. وأرجو أن أكون وفقت فى حمل هذه المسئولية. فإذا كنت كذلك فلربى الشكر وإن لم أكن فأرجو أن يحسب لى شرف المحاولة.

وحيدة

وحدى أعيش بين جدران بيتى القاسـية الموحشة. بيتى أصبح سجنا سـجانه يقبـع داخلى. ضميرى هو سـجانى يؤنبنـى يوبخنى يعذبنى لا يتركنـى إلا وقد نال منى التعب. أهـرب منه التمس قدرا من الراحة أبحث داخل نفسى عن أدلة براءتى. فتقفز تساؤلاتى المشفقة على حالى. لماذا تخلوا عنى؟ ما تلك القسوة التى غلفت قلوب فلذات أكبادى؟ كأنهم لم يسكنوا رحمى ما أقساهم من أبناء! بل ما أقساك من أم! يرتفع صوت ضميرى مؤنبـا يدفعنى إلى تجرع مرارة الذكريـات المدينة لأمومتى. أنا من زرعت فيهم تلك القسـوة، وأنبتّ فى نفوسهم ذلك الجحود ألم أبدأ بالهجر والجفاء؟! لم يكن ذلك بيدى، بل بيدك وحدك، يرتفع الصوت الداخلـى مؤنبـا: تركتهم صغـارا. لكنى لم أحتمل الحيـاة مع والدهم شـجار وخلاف ونفوس متنافرة زادت الهوة بيننا تدخلات أهله النافذة الشرسـة المتلذذة بخراب البيـوت لم يهدأ لهم بال حتى انتهت حياتنا بالطـلاق.. قبل أن يحدث خيرنى بين الحيـاة التى صرحت له بأننى كرهتها معه وبين أولادى وفى لحظة أنانية آثرت النجاة بالبقية الباقية من عمرى أو هكذا تصورت وقتها. تركت أولادى لأننى كنت أدرك أننى لا أستطيع أن أوفر لهم الحياة المادية المريحة التى يوفرها لهم أبوهم. ولم يكن لدى أدنى شك من أنه سيحرمهم منها إذا هم أقاموا معى. تركتهم وقلبى يتمزق، سـنوات مرت، كم كانت قاسـية! كنت أراهم لساعات

محـــدودة وهاأنذا أدفع نتيجة اختيـــارى الخاطئ أخذتنى دوامة الحياة بقســـوتها حتى فتحت لى مرة أخرى طاقـــة نفذ منها بريق أمل أو هكذا تصورته. لكن ســـرعان ما اكتشفت أنه بريق كاذب. قابلت رجلا بدا لى مناســـبا متوافقا مـــع طباعى وخصالى. لكننى اكتشـــفت كم كان مخادعا كذوبا. ســـافرت معـــه إلى إحدى الدول العربية هـــى أقرب للمجتمعات الأوروبيـــة من حيث الحياة المتفتحة لدرجة الانحراف والمجون لمن أراد وهو استســـلم بكل إرادته لنزواته التى لم تكن خافية علىّ. تحول بيتى إلى مكان فاســـد كريه لم أتحمـــل رائحته العطنة فآثـــرت الطلاق. ومرة أخـــرى اضطررت إلى تـــرك أولادى بعد أن صمم والدهـــم على حرمانى منهم! هـــل صمم حقيقة أم أنت من تنازلت عن حضانتهم؟ يعلو صوت ضمـــيرى مرة أخرى. لا أجد مفـــرا من الاعتراف. نعـــم فعلت ذلك من أجلهم. هكذا بررت لنفسى وقتها. كانـــوا فى ســـن المـــراهقـــة ويحتاجون فيهـــا إلى حزم الأب. قدرى أن أنجب ذكـــورا وضعفى يجعلنى أُما غير حازمة لذلك تركتهم.. ومرت الســـنوات وكبر الأولاد كلٌ مع والدهم أمَّا أنا فظلت علاقتى بهم محـــدودة تقتصر على مكالمات تليفونية وزيارات قصـــيرة، كـــم أفتقدهم كم أتمنـــى أن يطرقوا بابى، أكثـــيرٌ أن يفاجئنى أحدهم برغبته فى الإقامة معى لعدة أيام ألا أســـتحق منهم ذلك؟ ألست أمهم؟ كيف أزرع الحنان فى قلب أبنائى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

يؤسفنى أن أقول إن بذور الحنان التى تتحدثين عنها الآن فات أوان غرسها فأنت الآن تحصدين ما زرعتيه فى نفوس أبنائك. تخليت عنهم

صغارا فتخلوا عنك فى شـيخوختك ! ! تركتهم فى طفولتهم فتركوك فى كبرك. قسوت عليهم فى سنوات عجزهم فشبوا على جفوتك فى هرمك. فلا تلومى إلا نفسـك.. وصحوة ضميرك التى بـدأت متأخرة لا تقنعنى كثيرا. بقلب أم. أرفض التسليم بأن ما فعلتيه كان بدافع تأمين مستقبلهم. فهـذا ما تحاولين به إقناع ضميرك. لكـن الحقيقة أنك تخليت عنهم– كانـوا بمثابة عـبء ثقيل– ورفضت تحمله بأنانيـة. ربما تبدو كلماتى قاسـية لكننـى أتحدث بقلب أم يمكن أن تتحمـل عذابات الدنيا كلها ولا تتحمل مجرد التفكير فى البعد عن أبنائها. ربما كانت ظروفك أقسى مما ترجمته كلماتك لكنهـا فى النهاية جاءت نتيجة لاختيارك.. ليس أمامك الآن سـوى مزيد من الحب والتفانى وإظهار ندمك لأولادك علهم يشفقون على ضعفك ويغفرون ويتفهمون الظروف التى دفعتك إلى التخلى عنهـم فتلين قلوبهـم ويطرقون بابك ثانية ليس أمامك سـوى المحاولة والتقرب إليهم والدعاء إلى الله أن يرقق قلب أبنائك.. فيسامحوك..

نـــدم

كثيرة هى أخطاؤنا فى الحياة.. نرتكبها أحيانا عن وعى وأخرى عن غفلــة وأحيانا نحــاول أن نتدارك بعضها فإذا بنا نقع فى أخطاء أشــد وأكــبر.. تماما مثلما حــدث لى عندما أقدمت علــى زواجى الثانى.. لم يمنعنى حبى لزوجتى الأولى واستقرار حياتى معها لم تشفع لى ذكريات جميلة جمعتنى بها. لم أتوقف لأسأل نفسى هل تستحق منى أن أجرح مشــاعرها فيكون جزاؤها بعد كل تضحياتها من أجلى أن تتجرع كأس الآلام على يد الرجــل الذى غمرته بحنانها. لترى هل أعمتنى الأخرى أم حركنى شعور طفولى يدرك تماما أن أخطاءه ستمر دون عقاب.. هكذا عودتنى فاستمرأت الخطأ لثقتى أن قلبها سيقابل نزواتى بالغفران مثلما فعلت معى منذ بداية علاقتى بها والتى لا أعرف متى بدأت بالتحديد.. لأنــى فتحت عينى على حبها كانت ابنــة عمى الأقرب دائما إلى قلبى وعقلــى. كنت على يقين أنها نصيبى من الحيــاة وأنها لن تكون لأحد غــيرى ربما دفعتنى هــذه الثقة إلى بعض التصرفات الطائشــة فتعرفت إلى كثير من الفتيات وكنت على ثقة أننى لن أتزوج ســوى ابنة عمى.. وكانــت تعلم هى أيضا جيــدا فتغاضت عما أفعله كثيرا وعنفتنى أحيانا بحــزم لتعيدنــى إلى صوابى وغالبا مــا كانت تنجح وبعقل فاق ســنها ســاعدتنى على اجتيــاز هذه الفترة وتزوجنا.. كنــت فى البداية مجرد موظــف محدود الطموح والإمكانــات، إلا إنها دفعتنى إلى ترك وظيفتى

والاتجـــاه إلى العمـــل الحر قدمت لى كل ما تدخـــره من مال وباعت كل ما تملكـــه من حلـــى ذهبية لتكون نواة أبدأ بها مشـــروعى الذى رفضت أن تكون شريكة فيه وبفضلها نجحت وأصبح لدى العديد من الشركات وآلاف الموظفين وأخذتنى دوامة الحياة حتى حدث ما قلبها رأســـا على عقب وللأســـف كانت زوجتى ســـببا غير مباشر فى ذلك عندما عرفتنى بفتاة ورجتنى أن ألحقها بالعمل فى إحدى شـــركاتى وحكت لى ظروفها الصعبة بعد أن رحل عنها والداها وتركاها بلا مال ولا ســـند وأشـــفقت عليها مثلما فعلت زوجتى وألحقتها بالعمل فى الفرع الرئيسى لشركاتى والذى يقع فيه مكتبى وللحق أظهرت الفتاة نجاحا ودأبا فى عملها فقد كانت تتمتع بالذكاء الشـــديد وهو ما جعلنى أوافق على طلبها أن تصبح سكرتيرة لى، الأمر الذى رحبت به أيضا زوجتى. لم أكن أدرى أن ذلك كان مجـــرد خطوة لخطة رسمتها بدقة وبدهاء امرأة كيدها بالفعل عظيم ولم تتـــوان فى إظهار اهتمامها بكل تفاصيل حياتى برقة بدت ســـاحرة جعلتنى انتبه لمدى ما تتمتع به من جمال وشـــيئا فشـــيئا أخذت تحتل جـــزءا كبيرا من تفكيرى وإن لم تلاحظ زوجتـــى ذلك فقد كان اهتمامها بالأولاد يســـتولى على كل تفكيرهـــا وليتها تنبهت بينما تمارس الأخرى كل غوايتهـــا للوصول إلى هدفها ولم يكن من الصعب عليها ذلك بعد أن أوقعتنى فى شـــراك حبها أو التعود علـــى وجودها فى حياتى.. قررت الـــزواج منها وكم كان وقع ذلك عنيفا على زوجتى لكنها لم تطلب منى الطـــلاق أو بمعنـــى أدق لم تطلبه بشـــكل جدى وإنمـــا طلبته فى لحظة انفعـــال وســـرعان ما شـــعرت أن مصلحة الأولاد تقتضى الاســـتمرار فى

زواج شكلى وبالطبع كنت على ثقة بأننى سأنجح فى كسب ودها لأنها تعــرف جيدا مدى ارتباطى بهــا.. وأدرك معها أن الأخرى لا يمكن أن تحتل يوما مكانتها فى قلبى وكانت بالفعل كذلك خاصة بعدما اكتشفت مدى أنانيتها وجشعها وشرها فقد كانت تفرض على قيودا كثيرة كانت تغضب عندما أتردد على زوجتى الأولى وكان غضبها يشتد عندما تعرف حجم الأموال التى أنفقها على أولادى.. كانت تلح على أن تكون شريكة لى هــى وابنتنا ولم تكتف بذلك بل طلبت منى صراحة أن أطلق زوجتى الأولى وهو ما رفضته وبدا لى كم هى مختلفة عنها.. تعددت المشــاحنات بيننــا وازددت نفورا منها.. بعدما بدا لى وجههــا القبيح وفوجئت بها تطلب الطلاق وســرعان ما اســتجبت لطلبها ويبدو أن ذلك أشعل نيران حقدها اشتعالا فأقسمت لى أنها ستدمر حياتى وهو ما ترجمته من خلال العديد من القضايا التى أقامتها ضدى تحايلت بمســاعدة محام متمرس بكافــة الألاعيب القانونية لينتهى الأمر بســجنى فى قضية تبديد أثاث بالرغم من أننى لم أحرمها من أى من حقوقها.. أشــعر أن ما يحدث لى قصاص عادل لما ارتكبته من جرم فى حق زوجتى الأولى لكننى عاجز عن تحمل المزيد من مكائد لا تكف طليقتى عن ارتكابها لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

هى بالفعل مأســاة أن تعمينــا الأنانية فنجرح قلوبا أفنت حياتها من أجل راحتنا إلا إننا لا ندرك ذلك أحيانا إلا بعد فوات الأوان، أعذرنى عندما أقول إن ما وصلت إليه من جنس عملك؛ اســتمرأت الخيانة ولم تبال بمشــاعر زوجتــك بعد أن راهنت دائما على طيبة قلبها وللأســف

كنت دائما تكسب الرهان إلا أن العقاب جاء من القدر ليقتص منك وهو مـا اعترفت به وأكدت أنك تسـتحقه.. عموما قـد يكون ذلك هو بداية ليقظـة ضمير يدفعك إلى تعويض زوجتك عما اقترفته فى حقها ويجعلك زوجا أكثر إخلاصا وعطاء.. أما الأخرى التى سلطها القدر عليك فتحتاج منك اللجوء إلى محام ماهر يرد على مكائدها القانونية بمكائد مماثلة وإن كان أفضل ألا تنساق لهذا الطريق وأن توسط حكما يقنعها بالتراضى لأن ذلك سيصب فى النهاية فى مصلحة ابنتها.

الأمر يحتاج إلى مزيد من الحكمة والصبر فتسلح بهما ربما يكون ذلك تكفيرا عما ارتكبته فى حياتك من ذنوب.

نبع الحنان

«جنة من غير ناس ما تنداس» مثل شعبى يعكس تماما رؤيتى للحياة. فأنــا من أولئــك الذين يعشــقون الصحبة.. يجدون فيهــا متعة وراحة وتخفيفــا للأوجاع.. قلبــى دائما مفتوح للجميع.. لا يكل من شــكواهم ولا يمــل مــن أوجاعهم. اســتمع لمتاعبهم بصبر وأجــد متعة كبيرة فى البحث عن حل لمشاكلهم وتكتمل سعادتى عندما أنجح فى زرع ابتسامة على شفاههم الحزينة.

عطائــى كان بلا حدود خاصة لصديقاتــى.. وكانت إحداهن الأقرب إلى قلبى تنال قدرا أكبر ليس فقط من محبتى واهتمامى لكن بمســاعدتى المادية أيضا.. كنت أشفق عليها.. حياتها الصعبة.. بعد أن رحل الزوج وترك لها ثلاث بنات.

كان بيتــى مفتوحا لها ولبناتهــا.. وكم عوضنى الله بوجودها وبناتها فى حياتى خاصة أن الله حرمنى وزوجى من الإنجاب.. أخبرنا الأطباء بعــد رحلة علاج طويلــة أننا لن ننجب وإن كان احتمال الإنجاب واردا إذا ما تزوج كل منا بآخر.. إلا أن أحدا منا لم يضح بشريك حياته وآثرنا الاستمرار مضحيين بحلم عمرنا.

كان زوجى مثالا للحب والحنان.. عوضنى بمعاملته الطيبة ما حرمنى الله منه.. وكنت أنا باعترافه خير زوجة أكرمه الله بها.

هكــذا مضت الحياة بنا حتى اقتحمتها صديقتى وقلبتها رأســا على

عقب لا أستطيع أن ألومها وحدها فقد كنت أنا الدافع دون أن أدرى لذلك.. كم ألححت على زوجى ضرورة إكرامها ورعايتها.. والاهتمام ببناتها اليتيمات.. كثيرا ما كنا ندعوهن لتناول الطعام معنا.. ونصر على اصطحابهن معنا إلى المصيف.. لم نكن نشترى أى ملابس جديدة إلا وحملنا مثلها لهن.. كنت أفعل ذلك بحب ولم يثر اهتمام زوجى لصديقتى وبناتها أى توجس.

لم أتق شر من أحسنت إليه.. وكم كانت صدمتى عندما فاجأتنى صديقة أخرى لى أن زوجى على علاقة بمن فتحت لها قلبى وبيتى وشاركتنى حنان واهتمام زوجى.. واجهته واعترف وأكد لى أنه تزوج منها لا حبا فيها وإنما رغبة فى الإنجاب.

قتلنى باعترافه مرتين.. الأولى عندما اختار أقرب صديقة لى والثانية عندما أعلن عن رغبته فى الإنجاب.. هذه الرغبة التى حرمت نفسى منها ولم أفكر يوما فى الزواج من آخر لأحققها.

شل تفكيرى لكن غضبى وثورتى كانا أكبر من تحمل الصدمة.. اندفعت إلى صديقتى أعنفها وأتهمها بالخيانة.. وكانت الطعنة الثالثة التى مزقت قلبى واجهتنى ببرود مشيرة إلى بطنها التى تحمل جنينها من زوجى..مؤكدة لى أن هذا هو السبب فيما حدث.

لا أعرف كيف تحاملت على نفسى كى لا أصفعها.. كتمت آهة وحسرة وانكسارا.. ولملمت أحزانى وتركتها.. أخبرت زوجى بما حدث فما كان منه إلا أنه قاطعها حتى فاجأتها آلام المخاض.. لم يستجب لاستغاثتها وطلبها أن يرافقها للمستشفى.. تركها وحدها.. وبعد أن

وضعت مولودها ذهب إليها مؤنبا واضعا شرطه فى العودة إليها وهو أن تعتذر لى وتطلب العفو عما سببته من ألم وحزن بكلماتها الجارحة.

استجابت ومرت سنوات قليلة واختارها الله إلى جواره تاركة بناتها الأربع بلا عائل.. طلب زوجى منى أن أفتح بيتى لهن.. أتولى رعايتهن وأعتبرهن تعويضا من الله على صبرى وإيمانى بقدره..

لا أعرف هل أفعل أم لا؟ أخشى ألا أستطيع النسيان وأتحول إلى زوجة أب تعكس غضبها وقسوتها من خيانة الصديقة وأنتقم من بناتها؟! وفى الوقت نفسه تدفعنى رغبة قوية فى القبول وأرى أن الله بالفعل قد عوضنى بهن خيرا.. ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

من الصعب على قلب كبير مثل قلبك أن يقسو.. فقلبك لم يعرف يوما إلا العطاء والحنان.. لا يجب أن تندمى على خصالك الطيبة.. وإذا كنت قد أحسنت فإن الله وحده من جزاك على ذلك الإحسان.. أما الشىء الذى حملته لك الأيام من خلال صديقتك التى خانت هذه الصداقة.. فهو شر مؤقت.. ما لبث أن طرده عملك الصالح.

لا أعتقد أن من يملك قلبا نقيا وفيا حنونا مثل قلبك يمكنه أن يقسو على يتيمات يحتجن إلى الرعاية.. أكملى مشوار العطاء وافتحى بابك للصغيرات.. فهن هدية الله لك.. عوضا لك عن سنوات الحرمان.. وتأكدى أن رعايتك لهن لن تكون لك فقط عوضا فى الدنيا لكنها ستمهد لك فى النهاية طريقا إلى الجنة.. تذكرى حديث رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة.. وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى».. فأبشرى.

لحظة ضعف

من أنا؟ بدت صورة المرأة التى ظهرت أمامى غريبة عنى. هى مختلفة فى كل شىء. ملابسها. شعرها. مكياجها. هى أصغر وأجمل وأكثر رشاقة.. اختفت من ملامحها تجاعيد تشى بأثر الزمن والإحباط. تلك الخطوط التى حفظتها جيدا من كثرة ما رصدتها حتى اعتدت عليها.. هل تخدعنى مرآتى؟ أم أنا من أخدع نفسى؟ كيف وصلت لهذه الحالة..؟ لم يكن التغيير الظاهرى حقيقة هو ما يقلقنى فما أفزعنى حقا ما وراء هذا التغيير.. تلك المشاعر التى بدأت تتسلل إلى.. ذلك الخفقان الذى يعزفه قلبى طربا كلما طاف خياله على بالى.. تلك الحالة من النشوة التى تنتابنى كلما سمعت صوته.. تلك الرغبة الملحة فى أن أراه. فمعه فقط أشعر بأننى مازلت على قيد الحياة. ربما كان هو الأهم.. أن أشعر أننى مازلت أحيا.. أتنفس.. أعيش.. أشعر بكيانى كامرأة ولست مجرد آلة عجيبة يتم استخدامها بلا رحمة تحت شعار أنها أم وزوجة.. آلة تعمل بلا كلل أو ملل بدون وقود الحب والرقة والحنان والأهم الكلمة الطيبة.. دوامة طلبات الأولاد والبيت والزوج تغرقنى تنهكنى ولا تتركنى إلا بعد أن ينال التعب منى فألقى بجسدى الواهن ليلا أشعر بعدها بأنى أفقد الوعى ولا أستسلم للنوم بشكل طبيعى.. كم سئمت هذه الحالة وكم طلبت من زوجى قدرا من التغيير والاهتمام.. كم وعدنى هو بذلك.. وكم تبخرت وعوده فى الهواء بحجة العمل ومسئولياته كرجل أعمال؟ فلتذهب الأعمال كلها إلى الجحيم! كدت أصرخ فيه مرارا. لكنى

تحملت فى صمت دافعة زوجى لمزيد من النجاح حالمة أن يعوضنى يوما سنوات الجفوة والانشغال. ما ساعدنى على ذلك هو شعورى بأن زوجى يسعى دائما لتلبية كل احتياجات البيت والأولاد فكان أبا حنونا.. وكان لوجود أولادى أيضا حافز آخر لى على التحمل كنت أراهم أجمل هدية وهبنى القدر إياها. كانت ابتسامتهم تخفف عنى الكثير.. تعوضنى إحساس الوحدة والقلق والإحباط. كان ذلك قبل أن أراه، قبل أن يظهر فى حياتى، من رد لى- دون أن يقصد شعورى- الحياة، من حرك فى قلبى مشاعر اللهفة والفرح من جعل قلبى ينبض ثانية.. هو المهندس الناجح الذى أوكل له زوجى مسئولية بناء فيلتنا الجديدة وكلفنى أنا بمتابعته بحكم أننى خريجة كلية الهندسة. لقاءات قليلة جمعتنى به لكنها قلبت حياتى بدأت أشعر بهذا الإحساس المبهج الذى افتقدته كثيرا أشعر أن قلبى مازال ينبض بالحياة لكنى لم أسمح لنفسى مطلقا أن أبدى حتى مجرد اهتمام به. كنت أبذل جهدا خارقا حتى لا تظهر على ملامحى حقيقة ما يدور فى نفسى إلا أننى لم أستطع أن أئد هذا الإحساس الجميل الذى تسلل إلىَّ وتلك السعادة التى تغمرنى كلما رأيته.. أضبط نفسى كثيرا ممسكة الهاتف الخاص بى لا لشىء سوى أن أرى اسمه أمامى.. هل أصبحت مراهقة فى الأربعين؟! يا لها من كارثة.. لكنى لم أتوقف كثيرا لأرصد حالتى فقد انصب تفكيرى فى اتجاه آخر. كيف أبدو أصغر وأجمل وأرشق وأصغر سنا.. وهاأنذا أصبحت لكنى بين الحين والآخر أقف تلك الوقفة أمام مرآتى لأتساءل من أنا؟ حالة من الحيرة والتوهة أغرقتنى بدوامتها أفقدتنى التوازن وأصابتنى بالشلل من أنا؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أنت امرأة تمر بلحظة ضعف. هذه اللحظة تزامنت مع ما يطلق عليه أزمة منتصف العمر. والتى يشعر فيها الإنسان بأن قطار عمره قد مر سريعا وأن حياته كادت تنتهى بلا جدوى فيفقد إحساسه بالسعادة ويحاول التشبث ببقاياها فينتهز أى فرصة ليثبت لنفسه أنه مازال على قيد الحياة إلا أن العاقل من ينتبه سريعا لنفسه ويتجاوز هذه الحالة سريعا ويعرف أنها مجرد لحظة نفسية.. فمن الحماقة أن نترك لهذه اللحظة العنان لتتحول إلى معول يهدم كل ما بنيناه فى حياتنا. البيت والأسرة، الزوج والأولاد كلها نعم وهبنا الله إياها يجب ألا نجحدها بأنانيتنا ونلهث وراء سعادة مؤقتة وغير مضمونة.. علينا أن ندرك تماما أن سعادتنا مرهونة بسعادة أسرتنا ونجاحها. لذلك أنصحك بأن تطردى الوهم من حياتك وابحثى عن سعادتك مع أسرتك بين أبنائك وزوجك الذى لا أعفيه بالطبع من تحمل مسئولية ما وصلت إليه. فكان عليه أن ينتبه هو الآخر لحقوق زوجته عليه من حب واهتمام ورعاية وحنان وكلمة طيبة يمكنها أن تصد الباب أمام أى مشاعر يمكن أن تباغتها فى لحظة ضعف.. نصيحتى إليك أن تصارحى زوجك بمدى حاجتك إليه.. حاولى إقناعه بالسفر إلى أى مكان ينسى فيه مشاغل العمل وتكون فرصة لإحياء مشاعر جميلة بينكما.. نصيحتى أيضا أن تقنعى زوجك باستبدال المهندس تحججى بأى حجة حتى تخرجيه من حياتك.. حاولى أن تفتحى صفحة جديدة مع زوجك.. وتذكرى دائما أن بناء الأسرة واستقرارها أمر صعب.. أما الأصعب منه هو كيفية المحافظة عليها.

قلب كبير

«سامحينى» خرجت الكلمة ضعيفة من الجسد الواهن المتكوم على فراش المرض.. يتراءى أمام عينيه شبح الموت فتنطلق فى رجاء ذليل تطلب الغفران.. تريد أن تتخفف من الذنوب قبل الرحيل وقد بدا الخوف واضحا من حساب عسير.. وكأن شريط حياته يمر أمام عينيه ليكتشف كم كان قاسيا عنيفا ظالما.. أين هذا الجسد الواهن المنكسر من ذلك القوى العنيد المتجبر.. لو كان يعلم نهايته ما استمرأ تعذيب الآخرين.. لكنها الغفلة وسكرة الحياة يتجرعها البعض فى نشوة ولذة متناسين لحظة يأتى فيها الندم غالبا بعد فوات الأوان.

هل أستطيع أن أسامح؟ أن أغفر؟ هل أنسى سنوات الذل والقهر والحرمان التى تجرعتها على يد ذلك الرجل.. والد زوجى الممدد أمامى الآن على فراش الموت.. هذا الرجل الذى حول حياتى إلى جحيم وحرض زوجى على معاملتى بقسوة وغلظة على رغم طيبته وحنانه ومودته البادية لى منذ أن عرفته.. لكنه تحول إلى عجينة طيعة فى يد والده القاسى الطاغى الآمر الناهى المتدخل فى كل شئون حياة أبنائه ومسيرها كيفما يشاء.. وكان لزوجى النصيب الأكبر بحكم أنه الابن الأثير إلى قلب والده والأكثر طوعا لإرادته وتحكمه.

بعد الزواج بدا ضعيفا أمام إملاءات والده ليزداد تدخلا فى حياتى ولم تمنعه غربتنا من الحد من إساءته لى وكان يخترق المسافات من خلال المكالمات والخطابات التى ما أن يستقبلها زوجى حتى يتحول إلى

شـخص آخر. منها اكتشفت نصائح والد زوجى التى تصب جميعها فى بث مشـاعر الحذر والريبة منى وضرورة إخفاء أحواله المالية عنى وعدم الإنفاق إلا بالقدر البسيط حتى لا أطمع فى المزيد.

واجهت زوجى فبرر تصرفات والده بخوفه عليه.. وكعادتى تجاوزت بتعقل تصرفات الأب.. لكن يبدو أن صمتى دفعه إلى المزيد.. لم يهنأ له بال حتى اشتعلت نيران الخلاف بينى وبين زوجى بعد أن اكتشفت أنه حرضه على بيع شقتنا التى كان من المفترض أن نعيش فيها بعد رجوعنا إلى مصر مقنعا إياه بالاكتفاء بالشـقة المتواضعة فى الحى الشـعبى الذى يقطنه.. فعل ذلك خوفا من أن تؤول الشقة إلىَّ إذا فكرت يوما فى الطلاق مـن ابنـه وهو ما لم أفكر يوما به.. ثرت علـى زوجى لكنه لم يأبه ولم يكن أمامى سـوى حمل طفلىّ الصغيرين والعودة إلى بيت أبى.. وتدخل أولاد الحلال لإصلاح ما أفسـده أبوه.. وعـدت إلى زوجى لكن ما لبث أن تفجر شـجار آخر بسبب اكتشـافى اختفاء علبة مجوهراتى واعترف زوجى بأنه حملها إلى والده الذى رفض إعادتها لى.. ومرة ثانية وجدتنى أعود إلى بيت أهلى.. ثلاث سنوات عشتها هناك.. لم أجد سوى حضن أبى وأمى سكنا ومأوى ولم يدخر أبى وسعا فى الإنفاق علىّ وعلى طفلىّ الصغيرين وتعويضهما قسـوة أبيهما وعناده وبخله.. ومرة أخرى يتدخل أولاد الحلال للصلح.. اشترطت وجود شقة خاصة بنا.. ورفض زوجى.. ومع ذلك عدت إليه من أجل عيون الطفلين.. عشـت مع زوجى أسـوأ أيام حياتى وأنا أرى تسلط والده يزداد يوما بعد يوم ليزداد معه حواجز النفور بيننا خاصة بعد أن عدنا إلى مصر وأصبح والده شبه مقيم معنا وزاد

تحكمه فى كل شئون حياتنا.. لم يكن أمامى سوى الله أدعوه أن يعيننى على تلك الحياة القاسية.. ومرت سنوات عجاف شديدة. تحملتها فى صبر.. حتى داهم والد زوجى المرض ولم يجد من يمد له يد العون ومن يرعاه سوى زوجى الذى احتضنه فى حنان وأشفق على نهايته الضعيفة الذليلة.. وها هو ذا يطلب منى الغفران.. أمام ضعفه لم أملك سوى التسامح.. ورحل الأب القاسى واعتقدت أن زوجى سيقدر ما فعلته لكن على العكس استمر فى جفائه وكأنه ورثه عن والده.. وأصبح أكثر حرصا وحذرا وإخفاء لكل تفاصيل حياته المادية وكأنه يتلقى تعاليم والده من قبره. لا أدرى ماذا أفعل؟!

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أقدر تماما مدى المعاناة التى عشتها وأقدر إحساسك بالظلم.. ويبدو أنك من تلك القلة من البشر التى مازالت تحمل قدرا كبيرا من الطيبة والحنان ونكران الذات.. وهى صفات كادت تنقرض فى زمن اتسم بالغلظة والتجبر والظلم.. لكن تأكدى أن عطاءك لم يضع هباء.. ويكفى أن والد زوجك اعترف نادما بظلمه لك وطلب منك الغفران.. بعد أن قابلت إساءته بالمعروف.. وغلطته بالرحمة.. وجفاءه بالمودة.. حدث ذلك لأنك تعاملت مع الله وكانت تعاليمه هى المعين لك على فعل الخير.. وأعتقد أنها ستكون معينا لك أيضا على كسر حاجز الجفاء بينك وبين زوجك.. فرقتك وعطاؤك وإيمانك ستذيب جبل الثلج الذى شكله والده فى قلب زوجك.. وظنى أن الجفاء الحادث مؤقتا والأيام ستجلو غشاوة نكران الجميل من عين زوجك.. ونصيحتى أن تتحدثى

له بهدوء أعيدى له ما تعرضت له من ظلم وتجاوزك وصفحك عمن ظلمك وذكريه بواجباته تجاهك وتقصيره تجاه أطفاله الذين حرمهم من حنانه لمدة ثلاث سنوات.. وأن من حقهم تعويض ذلك بحياة آمنة مستقرة.. لا تملى من تكرار المحاولة ولا شك أن النجاح سيكون حليفك وقلبك الكبير خير معين لك على مهمتك الصعبة.

❍❍❍

شبح الموت

يطاردنى شبح الموت.. يحاصرنى.. أشعر بملاكه يقترب منى.. يزهق روحى.. ويترك جسدى بلا حراك.. أتخيل طقوس الدفن ومراسم العزاء.. أشفق على صغارى من ألم الفراق واليتم.. أشفق على نفسى من ظلمة القبر ووحشته وحساب الملكين.. ينتابنى هذا الإحساس بين الحين والآخر.. يخنقنى يأخذنى فى دوامة من الحزن وأغرق فى موجة من الاكتئاب.. أحاول جاهدة الخروج منها.. أبذل أقصى جهدى.. أتغلب عليها بروح ساخرة.. لكنها تهزمنى فى النهاية.. أعترف أن هذا الإحساس سبب ضيقا لمن حولى.. صحيح أننى أحيانا أنجح فى التغلب عليه. لكنه يفاجئنى بغتة ليشل تفكيرى.. أشعر أن قراراتى وأفكارى وكلماتى هى صدى يعكس هذا الإحساس المقبض.. وبالطبع انعكس ذلك على علاقتى بزوجى وأبنائى، أشعر أننى فى حاجة كبيرة إليهم.. للالتصاق بهم.. لضمهم.. لا أريد أن يفارقونى أبدا خشية أن يسبقهم الموت إلى فأرحل دون أن تكون صورتهم آخر ما تقع عيناى عليه.. كنت أودعهم لمدارسهم وأنتظر الساعات تمر ثقيلة حتى يعودوا إلى أحضانى.. أما زوجى فقد رفضت أن يسافر للعمل بالخارج وأضعت فرصة كان من الممكن أن تحقق لنا الكثير.. لم أعترف له بالسبب الحقيقى أخفيته عنه وعن نفسى أيضا.. وجدتنى أسوق مبررات كثيرة ليس بينها السبب الذى يدفعنى لمنعه من السفر.. تحججت بقسوة الغربة التى لم يعتدها.. وافتقادنا للمة الأسرة وتعمدت أن ألقى على مسامع زوجى قصصا مخيفة عن أسر

تفككت بعد أن لهث عائلها وراء السفر.. وتكرر نفس الشيء مع ابنى الذى أتم دراسته الجامعية بتفوق أهله للحصول على منحة لاستكمال دراسته العليا بالخارج.. لكنى رفضت فكرة سفره وحاولت إقناعه بشتى الطرق للعدول عن هذه الفكرة لكنى فشلت هذه المرة.. مزقنى الشعور بالمرارة الذى عانى منه ابنى وبدا واضحا فى كل تصرفاته.. لم أتحمل إحساسه بالحزن الذى انتابه لرفضى سفره شعرت أننى أحول دون تحقيقه لحلم عمره.. لم أتحمل تلك النظرة الحزينة الكسيرة التى بدت واضحة فى عينيه.. وافقت مضطرة وسافر.. عام ونصف مرا كأنهما الدهر.. وعندما عاد إلى أحضانى كدت أفقد الوعى من شدة فرحتى شعرت أن روحى ردت إلى.. أخذته فى حضنى ورحت فى موجة من البكاء ساعات طويلة حتى استطعت أن أعود إلى حالتى الطبيعية.. عرفت بعد رجوعه طعم النوم الذى خاصمنى طوال مدة سفره.. حمدت الله أنى رأيته ثانية قبل أن يقترب أجلى.. ومرت تجربة سفر ابنى على خير لكن يبدو أن موافقتى على سفره شجع أخته وخطيبها على تكرار التجربة معى فقد قررا الهجرة بحثا عن فرصة عمل بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة فى وطنهم.. لكنى رفضت بشدة هذه المرة.. ثرت فى وجه خطيب ابنتى وأمطرته بوابل من الكلمات القاسية تحملها فى هدوء الواثق أن أحدا لن يثنيه عن قراره.. وبالفعل سافر وترك ابنتى لشهور قليلة علها تنجح فى إقناعى لكنى لم اقتنع ومازلت أرفض بشدة سفرها ما يحزننى ذلك الشعور الذى انتاب ابنتى وأدخلها فى دوامة من الحزن.. أراها تذبل أمام عينى لكنى لا أقدر على تحمل فكرة سفرها وابتعادها عنى.. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لكل إنسان أجل وكلنا نعرف ذلك.. فمن اليوم الأول لخروجنا للحياة يتناقص فيه يوم من عمرنا ويبدأ عد تنازلى ليوم الرحيل.. ومع ذلك يظل بين الميلاد والموت إحساسنا الجميل بالحياة التى أمرنا الله أن نعيشها بكل مباهجها وزينتها وجمالها وألا ندع شبح الموت يطاردنا بهذه القسوة ليجعلنا أقرب إلى المرضى..صحيح أننا يجب أن نتذكر الموت بل ونعمل لآخرتنا كأننا نموت غدا ليدفعنا هذا الإحساس للتقرب إلى الله بالعبادة والتقوى لنثقل به ميزاننا ونضيء قبرنا بأعمالنا الصالحة.. لكن ليس معنى هذا أن يتحول الموت إلى شبح يطاردنا بهذه الصورة المرضية التى تجعله يشل حياتنا ويتربص بأحلامنا ويئد آمالنا.. وللأسف هذا ما وصلت إليه دفعت أسرتك ثمن هذه المخاوف المرضية.. فأضعت فرصة سفر لزوجك وكدت تفعلين نفس الشيء مع ابنك وجاء الدور الآن على ابنتك لتدفع ثمن هذه الهواجس.. أعرف مقدار حبك لأسرتك لكن أحيانا يتحول الحب إلى طوق يخنق أكثر مما يفيد لا تقفى عقبة أمام رغبة ابنتك ولا تضعى الحواجز بينها وبين خطيبها الذى أحبته.. اطردى شبح الموت تغلبى على خيالاتك المريضة وافتحى قلبك لحب الحياة فبقدر ما هو مطلوب منا أن نتذكر الموت ونعمل له كأننا نلقاه غدا بقدر ما مطلوب منا أيضا أن نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبدا.

زواج مرفوض

لم أخطئ ولم أرتكب ما يخالف الشرع ولا القانون.. تزوجته على سنة الله ورسوله.. فلماذا تلاحقنى نظراتهم بالإدانة؟..لست مذنبة فلماذا يضعوننى فى قفص الاتهام يحاكموننى ويدينوننى ولا يمهلوننى فرصة لأدافع عن نفسى.. لا أعرف لماذا؟ كلا بل أعرف لكنى لست مقتنعة بأدلة اتهاماتهم.. هم أدانونى لأنى أحببت وتزوجت وهل كانت نظراتهم الشامتة وكلماتهم الجارحة سترحمنى لو عشت وحيدة بلا زوج فليذهبوا للجحيم.. يكفينى أن أرضى نفسى فمهما فعلت لن أنال رضى الناس.. هكذا كنت أقنع نفسى دوما بينما كانت نظراتهم تلاحقنى بالإدانة.. فى البداية التمست لهم العذر فزواجى كان بالفعل صدمة حتى لأقرب الناس إلى.. وأعرف أن كل من يقرأ قصتى الآن سيصاب بنفس الصدمة.. لم يكن فارق السن الكبير بيننا هو السبب الوحيد وراء ذلك.. صحيح أن زوجى يصغرنى بأكثر من خمسة عشر عاما لكنى لست الحالة الوحيدة فهناك حالات كثيرة الآن تشبهنى خاصة فى مثل هذه الظروف الصعبة التى يعيش فيها الشباب.. أيضا لم يكن الفارق الاجتماعى هو ما يجعل زواجى حالة غريبة فى تفاصيلها.. فما أكثر الزيجات التى تتم على رغم وجود هذه الفوارق.. حتى لا أطيل عليكم أعترف بأننى تزوجت من «فراش مكتبى» من الساعى الذى يحمل لى الأوراق ويقدم لى الشاى والقهوة.. أضغط على الجرس فأجده أمامى مسرعا يقف خجولا مرتبكا

ينفذ ما أطلبه بـأدب واحترام حتى لا يتعرض لتوبيخ أو لوم أو جزاء.. لكنـى لم أفعل يوما ذلـك.. وفى نفس الوقت لم أكن أشـعر أنه يعانى بأى إحساس بالانكسار.. لا أعرف كيف بدا أمامى دوما واثقا من نفسه مؤديـا واجبـه على أكمل وجـه.. ربما هذا ما جعلنـى أفتح له قلبى.. وبمرور الأيام شعرت أنه الأقرب إلى.. كانت بشاشته وهدؤه وثقته وذكاؤه تجعلنى ألوم الظروف التى قادته لهذا المصير.. توفى والده وهو فى سن صغيرة فجأة وجد نفسه مسئولا عن أمه وإخوته.. اضطر إلى ترك الدراسة ونزل إلى سـوق العمل.. أكبرت فيه تضحيته.. وجدت فيه الرجل الذى يمكـن الاعتمـاد عليه.. كنت قد تجاوزت الثلاثين واستسـلمت لقدرى وعشت وحيدة بعد أن رحل والدى.. لكنه ظهر فى حياتى فجأة لأشعر أنه هدية القدر لى.. كم شـعرت بالسـعادة بعد أن تزوجته لم يقلل من سـعادتى سـوى تلك النظرات التى حدثتك فى البدايـة عنها.. والتى أصابتنى بمشاعر متباينة.. بدأت بالغضب ثم التماس العذر لهم وانتهت بالتفهم والاستسـلام لها دون أن تدفعنى للشعور بالندم على اختيارى.. مـا يعذبنـى الآن أن تلك النظـرات تجعلنى فى حالة خـوف دائم من المستقبل أشعر أن تجربة زواجى مصيرها الفشل.. فالمجتمع يضع كثيرا من الحواجز بيننا.. يضعنى أنا المديرة لإحدى شركات القطاع العام فى مكانة تفوق كثيرا مكانة زوجى بالرغم أننى سـعيت لنقله من مكتبى إلا أن وجوده فى نفس المكان يسـبب لكلينا الحرج لا أعرف كيف أتغلب علـى هذه المشـكلة.. خاصة وأنا أرفض اقتراحـه بالانتقال للعمل بفرع آخر للشـركة.. وبصراحة وراء رفضى إحساس بالخوف ينتابنى من أنه

يمكــن أن يتركنى يوما من الأيام لذلك أريده دائما لا يغيب عن عينى.. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

نحن فقط من نتحمل نتيجة اختياراتنا الخاطئة لا أســتطيع أن أمنع نفســى من إدانة اختيارك غير الموفق فالتكافؤ هــو العنصر الأهم للحياة الزوجية.. وللأســف ضربت به عرض الحائط... ففضلا عن فارق السن هناك الفارق الاجتماعى والأدبى وكلاهما يشــكل عقبة تحول دون حياة زوجيــة مســتقرة.. من الطبيعــى أن تصلى لهذه الحالة مــن عدم الثقة والتخبط والقلق.. وليس أمامك سوى تحمل نتيجة اختيارك.. وعليك أن تتحملى نظرات المجتمع التى وصفتها بأنها قاســية.. هذا إذا ما استمر اقتناعــك بهذه الزيجة.. والمنطــق يقول إن عليك الموافقــة على اقتراح زوجك بطلب نقله.. أما عن شعورك بالخوف والغيرة على زوجك والذى أراه مشــكلة كبيرة أتوقع أنها ستشكل عقبة كبيرة أمام استقرار حياتك الزوجية.. لا أســتطيع أن أمنع نفسى من تحذيرك أن الأيام القادمة لن تكون فى صالحك واســتمرار حياتك الزوجية مرهون بجهد خارق عليك أن تبذليه وإرادة حديدية يمكنها أن تواجه كل الأزمات المتوقع أن تأتى تباعا.. لا شك أنك تحتاجين إلى معجزة وللأسف انتهى عصر المعجزات.

○○○

رحيل ملاك

بين الفرح والألم تمضى بنا الأيام.. أحيانا نشـعر بالسعادة نحلق فى سمائها بنشوة ويسـكرنا رحيقها الآخاذ وأحيانا نتوه فى بحر الحزن.. يتمزق قلبنا.. وتجرح مشـاعرنا ونشعر بالانكسار وبين يأس وأمل ورجاء وقنوط تتقاذفنا أمواج الحياة لتعطى لوجودنا معنى ولأيامنا طعما ونشـعر معهـا أننـا مازلنا أحياء. كم أفتقد الآن لهذا الإحسـاس. كما أتمنى أن يخفق قلبى بقوة فرحا بعد أن فقد معنى الحياة. رحل من منحنى إياها.. كنـت أتنفس حبه لأعيش وأرتمى فى حضنه فأحيا وأشـعر فى وجوده بأننى أمتلك الدنيا.

عندمـا تقدم لخطبتى اعترض أهلى لصغر سـنه. فلـم يكن قد نجح فـى الحصول على عمل بعد، ولم تكن لديه شـقة ولا إمكانات مادية، وهو ما أشـعر أهله بالحرج لكن أمام إصراره اضطروا للنزول على رغبته والتقدم لى وللحق هم لم يفعلوا ذلك من منطلق التدليل فثقتهم فيه كانت تدفعهم لهذه الخطوة فتحمله للمسئولية كانت أهم صفة تميزه على رغم صغر سـنه. ولم تكن ثقتى فيه أقل من ثقة أهله بل على العكس كانت تفوقها بكثير، وللحق كان خطيبى أهلا لهذه الثقة..

سـافر للعمل بالخارج ولم تمض سـنوات قليلة حتى نجح فى تأثيث شـقة وتجهيزها. كان مثالا للعطاء والرجولـة والطيبة والحنان.. أقرب لأخلاق الملائكة، هذا الحنان هون على الشـعور بالغربة عندما سـافرت

معــه فى البلــد التى يعمل فيها فكان لى الســند والمعــين: ألم أقل إنه مــلاك.. ولأننا نعيش فى زمن الشــياطين كان الرحيل الخاطف لزوجى فدنيانا الكذوبة الزائفة ليست بالمكان اللائق به فمكانه هناك فى السماء بين أقرانه من الملائكة.. تعرض زوجى لمشاكل عديدة فى عمله لم يسلم من ضربات ســددها له زملاؤه.. وللأســف جاءت الضربــات من أبناء وطنه.فالصــراع علــى المال حوَّل الجميع إلى وحوش ضارية يســعى كل منها للاستفراد بالساحة وكأن وجوده لا يتم إلا بفناء الآخرين، لم يكن زوجى طرفا فى هذه الصراعات وكان يســمو علــى صغائرها، ويرى أن الله وحــده القــادر على العطــاء والمنع، ومع ذلك لم يســلم من طعنات زملائه وهو ما أصابه بالضيق. بدأت أشــعر بمدى المعاناة التى يتكبدها زوجى لاحتمال هذا الجو الفاســد المشــحون بالغــيرة والنفاق والصراع. فاقترحت عليه الرجوع إلى بلدنا ورجعنا.. وتكرر ســيناريو الصراع الذى يبــدو أنه سمة العصر الذى حوَّل حياتنا إلى غابــة. «كتب علينا القتال وهو كره لنا» هكذا كان يردد زوجى ليطمئن قلبه فكان إيمانه هو الداعم لــه على احتمال قســوة الحياة. وكان بيــت الله الحرام هو واحة الأمان التــى أراد أن يرمى على أعتابها بكل همومــه وأحزانه ومتاعبه. اعتزم زوجى أداء فريضة الحج واصطحبنى إلى الأرض المقدســة وأدينا المناسك وهناك كان زوجى مبتهلا داعيا باكيا ما كدت أشعر بالراحة والاطمئنان عليــه حتى فاجأتنى لطمة القــدر المباغتة حدث ذلك فى الليلة الأخيرة لنــا بالمدينة المنورة، وكنا قد حزمنا أمتعتنا اســتعدادا للرحيل.. لمحت الحــزن فى وجه زوجــى وكأنه لا يريــد أن يغادر المدينــة وأعلن ذلك

صراحــة عندما همس لى: يــا ريت الواحد يموت هنا.. يا لها من نهاية سـعيدة، وكأن أبواب السـماء كانت مفتوحة فاسـتجاب الله لدعوته.. صعدت روحه إلى بارئها بينما كان يؤدى صلاة العشـاء. لا أعرف كيف وقـع على الخبر.. لم أدر إلا وأهلى من حولى فى المستشـفى.. عشـت كالأمـوات لا أعرف طعما للحياة.. تمر مشـاهد أيامى أمام عينى لكنى لا أعيشـها أرى الناس يتحركـون يلهثون يحلمـون يضحكون ويبكون أتابعهم كأنهم خيالات أمامى. فعالمى لم يعد بينهم إنه هناك مع ملاكى الذى رحل لكنهم للأسـف لا يريدون أن يمنحونى حق الحزن. ظنوا أن سـنوات ثلاث مضت على رحيله تكفى وأن علىّ أن أخرج للحياة ثانية والأكثـر أنهم يلحون علىّ بالزواج من آخر. مؤكدين أننى مازلت صغيرة وأن سنوات زواجى القصيرة لا يجب أن تكون عقبة أمام محاولة أخرى للبداية من جديد خاصة وأنه لم يقدر لى الإنجاب لأسباب لا أرى داعيا لذكرى لها.. انصحينى كيف أقنعهم بالكف عنى..

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

قليلة هى اللحظات التى يمكن أن نشـعر فيها بالسـعادة وقلة أولئك البشـر الذين نأتنس بوجودهم ويشـعرنا قربهم بالأمـان. أعرف أنه من الصعب عليك أن تسقطى من ذكرياتك تلك اللحظات أو تمحى من قلبك صورة لهذا المـلاك كما صورتيه. لقد تحولت بفعل هذه الذكريات لطائر حزن نبيل يسـمو إلى السـماء يتطلع إلى لقاء نورانى مع من أحب.. لكن مادمنا على قيد الحياة فقد كتب علينا القتال فيها ليس فقط قتالا لمواجهة الصراعات التى تفرضها علينا لكنه قتال للبقاء ولمواجهة ضربات الحياة

نفســها وما أقســاها. لن أطلب منك الامتثال لرغبة أهلك وقبول الزواج بأحد الذين يتقدمون لك. كل ما أطلبه أن تمنحى نفســك فرصة أخرى للحياة وليس للزواج. حاولى أن تبحثى عن عمل لتشغلى جزءا من عقلك الهائم فى الذكريات.. أعرف أن نسيان زوجك ليس بالأمر السهل وليس من الحكمة أن يطالبك أحد بذلك. لكن عليك فقط أن تحاولى الخروج من شــرنقة الأحزان حتى لا تقعى فريسة لمرض لا يعرف الرحمة. اخرجى إلى الدنيا علها تهديك يوما ما يستحق البقاء من أجله.

خطيب ابنتى

أعــرف أن حكايتــى لا يمكن أن تثير تعاطفــك معى وليس من حقى أن أحلــم بذلــك.. والأكثــر أننــى أدرك تماما أنها يمكــن أن تصيبنى بلعنات كل من يقرؤها ومع ذلك أطمع أن تمدى لى يد المســاعدة.. فأنا مشــلولة التفكير.. مشتتة.. يمر شــريط حياتى أمام عينى فلا أدرى هل كنت فيه الجلاد أم الضحية أم كليهما معا.

كنــت ضحية لزوج قــاس عنيد أنانــى.. حياتى معــه هى الجحيم بعينــه.. عصبية.. إهانة لفظية وبدنية.. لا أعرف كيف مرت ســنوات أربع عشتها معه.. كيف تحملته.

كان من الطبيعى أن ينتهى زواجى بالطلاق حملت صغارى وعشــت مــع أمى.. كم تحملــت فى ســبيل تربيتهما.. مرتبــى صغير وطلبات أطفالى لا تنتهى..

تحملــت علــى مضض ومــرت ســنوات تحســنت الأحوال شــيئا ما واستطعت تدبير مبلغ معقول وحصلت على شقة متواضعة جدا. وكبر الصغيران، أصبحت ابنتى فتاة جميلة عمرها ثمانية عشر عاما وتقدم لها شاب يكبرها بسنوات عشر، وتمت الخطوبة وأخذ خطيب ابنتى يتردد علينا.. كان هادئا وســيما مرحا حلو الحديث.. عوضنا عن غياب رجل يمكن الاعتماد عليه ونشعر بالأمان فى وجوده.

لكنــى بعد فترة لاحظــت أن اهتمامه بابنتى بدأ يفــتر تدريجيا فى الوقــت الــذى يحدث العكس معى ولا أشــعر كيف بادلتــه الاهتمام..

مجرمــة أنــا؟؟.. لكــن لا أحد يعرف كــم كانت حاجتــى لرجل مثله يعوضنى سنوات الحرمان..

توطــدت علاقتنا واضطر خطيب ابنتى لفســخ الخطوبة ليتقدم بعدها للزواج منى.. ووافقت..أنانية أنا؟! أعرف أن هذه أخف صفة يمكن أن ينعتنى بها أكثر الناس رحمة.. لكن هذا ما حدث.. أشعر أن الله وهبنى هدية بعد ســنوات تعيسة شقية وحياة زوجية فيها من الهوان والإهمال والقسوة مالا يتحمله أحد.

وأخيرا ابتسمت لى الدنيا وعشت حياة هادئة سعيدة.. إلا أن سعادتى لم تكتمل بسبب موقف ابنتى منى.. قاطعتنى وفضلت الإقامة مع جدتها وكانت تتعمد التهرب من لقائى..

سنوات وقلبها قاس لا يلين.. حتى عندما تزوجت ظلت على موقفها منى.. جفاؤها يقتلنى.. أتمنى أن تسامحنى.. لم يكن بيدى لكنه القدر أراد أن يعوضنــى.. وليــس ذنبى أنــى قبلت هدية الســماء.. أرجو أن تنصحينى كيف أرقق قلب ابنتى.. ورجائى ألا تلقى علىّ بكلمات اللوم فيكفينى ما سمعته ممن حولى.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لا أعتقد أن كلمات اللوم تجدى فى مثل حالتك.. وكل ما يدهشــنى هو كيف استطعت أن تكسرى قلب فلذة كبدك..أن تجرحى مشاعرها.. أن يكون شــعورها بالانكسار على يديك.. كيف تسنى لك مجرد التفكير فى الرجل الذى يفرض المنطق وكل المشــاعر الإنســانية أن تنظرى إليه كابن لك لا كرجل يثير إعجابك.

لســت وحدك ممن عانيت قســوة الزوج وجفوتــه وغلظته ربما كنت أكثر حظا من كثيرات اضطررن للاستمرار وتحمل الإهانة من أجل عيون صغارهن.. لســت بالطبع أوافقهن على ذلك.. لكن ما أريد أن أقوله إنه كان يكفيك الانفصال عن زوجك وبقليل من الصبر كان يمكنك أن تجدى رجلا يعوضك ما عشته فى حياتك.. وكان عليك أن تبذلى قدرا أكبر من المقاومة لمشاعرك المنجرفة تجاه خطيب ابنتك.. صحيح أن ذلك لم يكن يمنع فسخ خطوبته بابنتك. لكن على الأقل كان سيمنعك من قبوله بعد ذلك زوجا لك.

ولأنه فات أوان النصيحة فليس أمامك ســوى تحمل ثمن الاختيار.. فأنت فضلت هدية السماء لكنك تناسيت تعاليم السماء التى تحض على الرحمة والحنان والعطاء.

عطاء جســدته جدتى بقولها «من أعطى لابنى تمرة صارت حلاوتها فــى قلبــى» فكيف خطفت حــلاوة التمرة من فم ابنتك وكيف شــعرت بحلاوتها بعد أن حرمتها منها.

لــن ألومك ونصيحتى لك هى أن تتركى للأيام مهمة مداواة الجراح.. وليس أمامك سوى أن تبتهلى إلى الله بأن ينعم على ابنتك بحياة زوجية سعيدة.. ربما تعجل فى الصفح عنك.

❍❍❍

جبروت امرأة

طلقنى.. قالتها ولم أسمعها. عجز عقلى عن استيعابها.. تاهت الكلمة فــى فضاء حجرتنا التى طالما جمعتنا معا.. لملمت أشــياء مبعثرة أمامى بحركة ميكانيكية وشــرد ذهنى فى اللا شىء.. استفزتها لامبالاتى غير المقصــودة فكررت الكلمة مرارا تصاعــدت حدتها تدريجيا حتى وصلت إلى حد الصراخ.. انتبهت. التقطها عقلى وسمعتها أذناى لكنها لم تفلح فى ردى عن تلك الحالة من الذهول التى أغرقتنى دوامتها حد الشلل.. لماذا؟ زاد الســؤال من حالة العجز التى أصابتنى وإن كان شريط حياتى قد بدأ يتســلل بطيئا يعيد لنفســى قدرا من التوازن. لأكتشف كم كنت معطــاء كريما حنونا وكم كانت أنانية جحودة بخيلة قاســية. ســنوات غربتــى التى ضيعتها علــى طلباتها الخاصة لم أقــف يوما ضد نفقاتها اللامعقولــة والتــى نبهتنى أمى إلى تجاوزها الحــدود الطبيعية لكنى لم أكترث كنت على استعداد أن أفعل أى شىء لإسعادها. لا يهم المال فقد وهبنا الله إياه لنســتمتع به. شعار آمنت هى به ولقنتنى إياه.. كم كنت مخطئا عندما أصبحت منقادا كالأعمى وراء آرائها وأفكارها الأنانية. تلك الأنانية التى لم تنعكس فقط على تعاملها مع مالى لكنها للأسف امتدت لتشــمل كل أمور حياتى. فلم تكن توجه أى اهتمــام لرعاية أبنائى فلم ينالــوا الحد الأدنى من اهتمامهــا ورعايتها. حتى عندما كبروا والتحقوا بالمدرســة لم تشغل بالها كثيرا بمتابعة أمورهم الدراسية. أين كنت من

كل هــذا؟ عشــت مغيبا باحثا عن أى فرصة يمكــن أن تزيد من دخلى لأوفر لها رغد الحياة التى تنشدها. أخطأت لم يكن مجرد خطأ بل كان الخطيئــة بعينها. كان علىّ أن أرفض هــذا الوضع. أثور حتى لو وصل الأمر لتهديدها بالطلاق. لكنى لم أفعل. والغريب أنها التى فعلتها طلبت الطلاق. لماذا؟ وأدت السؤال وأبيت أن أفصح به. تركتها تخرج وكأننى على ثقة من أنها ســتعيد حســاباتها لتعود نادمة. لكنها لم تفعل على العكس صممت على قرارها واســتجبت لها. مضت شــهور العدة ثقيلة بطيئة. راودنى فيها الأمل أن تعود معتذرة نادمة. لكن ســرعان ما تبدد أمام المفاجأة التى حملتها لى الأيام بعد انتهاء شهور العدة والتى فسرت لى الحالــة الغامضة التى بدت عليها زوجتــى عندما طلبت الطلاق. فلم تمر أيام قليلة على العدة وعرفت أنها تزوجت. كانت مفاجأة، نعم. لكن الأكثر منها الشــخص الذى تزوجتــه. كان آخر ما توقعته أن تتزوج من أقــرب صديــق لى والذى كثيرا ما تردد على منزلنا ولم أتوقف كثيرا عند كلمــات الترحاب التى كانت تمطره بها. لم أنتبه لعبارات الإطراء التى كانــت تعقب بها على كل آرائــه. لم ألحظ نبرات صوتها المعجبة التى كانــت تترجمها كلماتها عقب كل زيارة لــه لمنزلنا. كم هو رقيق أنيق. ثرى. ألهذا الســبب؟ لم يكن ســواه.. لهثت وراء الثراء فقد كانت عبدة شــرهة للمال.. ووجدت فى صديقى المفتاح الســحرى لكنوز الدنيا التى تحلم بها.. فلتذهب معه إلى الجحيم يكفينى أبنائى هى لا تســتحق أن تكون زوجة لى ولا أما لأبنائى. هكذا أقنعت نفسى وطردت شبح ذكراها من حياتى. وتفرغت لرعاية أبنائى. وكانت أمى خير معين لى على تلك

المهمة لكنى أشفقت عليها من كثرة الأعباء وأشفقت هى على من الشعور بالوحدة اقترحت علىّ الزواج من أخرى ترددت فقد خشيت على أبنائى من قسوة زوجة الأب لكن أمى أشارت إلىّ بإحدى جاراتى كانت أرملة لا تنجب ومعروف عنها حنانها وطيبتها. وتزوجتها وتبدلت حياتى معها. عرفت لأول مرة معنى دفء الأسرة ولمة العيلة لكن سعادتى لم تكتمل بسبب أم الأولاد التى كانت تصر بين الحين والآخر أن تفرض وجودها علينا وتملى قراراتها علينا وعلى أبنائى خاصة على ابنتى الصغيرة التى تحاول أن تفرض عليها عريسا يمت لها بصلة قرابة فعلت ذلك بعد أن علمت أنها على علاقة حب بريئة بأحد أقارب زوجتى كانت ملامحها بادية أمام عيوننا وكنا نشجعها بتحفظ حتى جاء الوقت المناسب لإعلانها وهو ما أثار غضب أمها ودفعها لإرغامها على قبول العريس الذى اختارته هى، لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

أتعجب من سؤالك وإن كان يتناسب تماما مع شخصيتك التى أراها تعانى قدرا كبيرا من الضعف ذلك الضعف الذى قادك لارتكاب جرم ليس فقط فى حق نفسك وإنما أيضا فى حق أولادك الذين أهملتهم أمهم ولم يحظوا منها بأدنى رعاية. لا أعرف كيف صممت على هذا الإهمال؟ لكن إذا كنت تريد حقا تعويضهم عن هذا الخطأ الذى ارتكبته فى حقهم فعليك أن تقف الآن بقوة أمام إملاءات أمهم وترفض وصايتها التى تفرضها عليكم على رغم أنها لا حق لها فيها فقد آثرت بريق المال على بريق عيون أبنائها. كفاك تهاونا فى حق نفسك وحق أبنائك. عليك

وضع حدود أشــد فى علاقتك بأمهم. لا تســمح لهــا بالتجاوز وإلا كان حرمانهــا من أبنائها إلى الأبد ويكفيها ما أفســدته فى حياتك وحياتهم مازالت أمامك فرصة لاســتيعاب هيبتك المفقــودة أبحث عن نقاط قوتك التى طالما ظلت بكرا لم تســتغل أشــهرها سلاحا فى وجه طليقتك وزوج ابنتك ممن تحب وتأكد أن وقوفك بقوة أمام جبروتها ســيردعها افعلها مرة ســتكون بداية جديدة لك تكتشف معها ما بداخلك من قوة أخطأت كثيرا فى عدم استخدامها.

ثمن الضعف

يقولون إن الحزن هو الشيء الوحيد الذى يبدأ كبيرا ثم يصغر.. لكنه لم يكــن كذلك معى.. حزنى عليها يــزداد يوما بعد يوم.. يغذيه حنين واحتياج دائمان لها.. لم تكن مجرد أمٍّ بل كانت كل دنياى.. ليست فقط نبع الحنان والحب ولكنها أيضا ســندى ووتدى بعد أن رحل والدى.. لمــاذا رحلت وتخلــت عنى بعدما عودتنى ووعدتنــى أن تكون بجوارى دائما تشــد من أزرى فى مواجهة مشــاكل الحياة.. كنت أرجع لها فى كل صغيرة وكبيرة وكــم أفادتنى بخبرتها وحكمتها فكانت طوق النجاة الذى اجتزت به كل أزماتى.. علمتنى الكثير لكنها نســيت أن تعلمنى كيف أعيش بدونها.. أو ربما هى فعلت لكنى أبيت استيعاب الدرس.. أتذكر الآن جيدا كيف كانت تبذل جهدها لتجعل منى شــخصية قوية واثقة مســتقلة.. حاولت هى ذلك وأوهمت نفســى بأننى أصبحت كما تحلــم لى أن أكون.. لكننى اكتشــفت أننى قوية بها مســتمدة ثقتى من دعمها وثقتها ولم أكن يوما مستقلة عنها.. كنت لصيقة بها كأنى امتداد لهــا.. فلماذا رحلت وتركتنــى وحدى أواجه ضربات الحياة القاســية التى جاءتنى من آخر شــخص توقعت هــى أن يفعل ذلك.. من الرجل الــذى أعطته ثقتها وأمنته على مالهــا وبيتها وبنتها.. زوج أمى.. ذلك الرجل الذى فعل المســتحيل كى ينال ودها ورضاها وقبولها للزواج منه بعــد رحيل أبى.. كانت أمى ترفــض الزواج وكأنها نذرت حياتها لى..

ولأنهـا أيضا كانت تـدرك جيدا أن أحدا لا يمكن أن يحل مكان أبى.. لكن القدر خطفه سريعا كعاداته مع كل ما نحب.. استغفر الله.. حاشا لله أن أكفـر بالقدر.. فكفـرى الحقيقى أصبح بالبشـر.. هؤلاء الأفاعى الذين امتـلأت بهم حياتنا فحولوها إلى جحيم.. تاهت وسـط أعدادهم المتزايدة بهجة الدنيا بعد أن نفثوا بسـمومهم فى كل أرجائها.. لم يعد بهـا أمان ولا خير ولا رحمـة.. أقولها ليس لأنى متشـائمة لكنه واقع عشـت فيه بعـد أن رحلت أمى وظهر الوجـه الحقيقى لزوجها.. لص مخـادع.. نصاب مـزور.. وضع يده على كل أمـوالى التى ورثتها عنها أصبحـت تحت رحمته.. لم يعرف قلبه معنى الوفاء فتزوج سـريعا من أخرى كانت أكثر شـرا منه.. كانت ملهمته لإيقاع كل صنوف العذاب النفسـى علىَّ.. فضلا عن تحريضها المسـتمر له للاستيلاء على ثروتى.. كنت صغيرة ضعيفة لا أقدر على المواجهة حتى إننى لم أكتشـف حجم ثروتى إلا بعد لقائى بإحدى قريباتى كانت أمى قد استأمنتها على سرها وأخبرتها أنها تركت لى عقارا باسمى وكذلك مبلغا من المال تركته معها ربما توقعت ما يحدث أو دفعتها حكمتها لفعل ذلك.. اكتشـفت وجهه الدنىء بعدمـا عرفت أنه قام بالتزوير ليضع يده على أملاكى.. صممت على مقاضاته مستعينة بالمبلغ الذى حصلت عليه من قريبة أمى.. إلا أن سـنوات القضية طالت واستغلها زوج أمى فى ممارسة مزيد من الضغوط علـى خاصة وأننى لم أتمكن من الحصول على سـكن بديل ولم يكن لى أقـارب يمكن أن يفتحوا لى بيتهم لاسـتضافتى حتى تلك القريبة كانت ظروفهـا أصعب من أن تتحمل مشـاكلى.. اضطـررت للإقامة مع زوج

أمــى وزوجته اللذيــن نجحا فى إذلالى حتى اضطــررت فى النهاية إلى التنازل عن القضية.. لم يكتف هو بذلك فأراد أن يضمن عدم تمردى مرة أخرى.. فرفض الشــاب الذى أحببته وتقدم لخطبتى.. طرده شــر طردة خشى أن يكون هو المحرض لى والسند الذى يدعمنى ويقوينى لاسترداد حقــى وإمعانا فى إحكام قبضته وســيطرته فرض علــى زوجا آخر كان بمثابة ساعده الأيمن فى العمل وافقت على الزواج منه رغبة فى الخلاص من زوج أمى وزوجته اللعينة وأملا فى أن يساعدنى على استرداد حقى لكنه كان أضعف من أن يســاعد نفســه.. كان مجرد لعبة طيعة فى يد زوج أمــى لدرجة أنــه كان يخبره بكل تفاصيل حياتنا إمعانا فى إثبات ولائــه وطاعته.. حياتــى أصبحت جحيما.. تحولت إلى حطام إنســان هزيل عاجز لا يعرف طريقا للخلاص.. فهل يمكن أن تدلينى عليه؟!

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

على رغم تعاطفى الشــديد معك.. إلا إننى لا أســتطيع منع نفســى من إلقاء بعض اللوم عليك بســبب ذلك الضعف الذى وسم شخصيتك.. ربمــا جاء بفعل حنان وتدليــل زائد من أمك لك.. فخلقت منك دون أن تدرى شــخصية اتكالية أو ربما تكونى أنت من استســلم لهذا الضعف الذى ســيطر عليك بعد فقدك لأمك.. المهم الآن أن تدركى أن ضعفك هو الســبب الرئيســى لأزمتك.. وعليك أن تستعيدى ثقتك بنفسك وتحفزى كل نشــاطات عقلك وتشــحذى كل مواطن القوة داخلك وابحثى عن كل دليل يمكن أن يدين ويكشف جرائم زوج أمك..ويمكنك أيضا أن تمارسى مزيدا من الســيطرة على زوجك ربما نجحت فى دفعه للتمرد على ذلك

الخنــوع.. وأعتقد أنــه لاقى الأمرين من زوج أمــك وربما نجحت لهذا السبب فى استمالته لصفك.. عليك أن تدركى أن وقوفك فى وجه الظلم هو طريقك لاســترداد حقك وثقى أن اللص جبان مهما بدا عكس ذلك.. وعليك أن تدركى أن الحياة تؤخذ غلابا وما ضاع حق وراءه مطالب.

ليست مجرد شعارات وإنما هى حقائق كشفتها لنا تجارب الحياة.

أنا اعتزلت الغرام

أقولها بعد أن كنت من أكثر المقدسين للحب.. من أخلص المتعبدات فـي محرابه.. كنت آراه الحياة.. أتنفسـه فأعيش، يسـرى فى روحى فأحلق فى عالم جذاب أثير ليس فيه سواى ومن أحب

لم أحلـم يومـا بمال ولا جاه كان حلمى فقـط أن ألتقى بمن أهب له قلبـى ويهب لى حبه.. وظننت أننى وجدتـه.. كان صديق أخى يتردد على منزلنا باسـتمرار.. كنـا نلتقى بالصدفة لحظـات لكنها كافية أن تهز كيانى تجعلنى أسـهر الليل أرسـم صورته فى قلبى وأردد كلمات سمعتها منه. كان فى السـنة النهائية بكلية التجارة وكنت فى السـنة الأولى بكليـة الآداب، وكانت الجامعة هى المحطـة الثانية للقاءاتنا.. لم نلتق سويا بل فى إطار صحبة تضم العديد من زملائنا.. كان الجميع يلاحظ ما بيننا من إعجاب واهتمام وحب ولم يغب الأمر عن أخى الذى صارحته بشـعورى فقـدره وإن ازداد حرصا وخوفـا علىّ فكانت عيونه تلاحقنى أينما ذهبت.. وقدّر من أحببت شـعور أخى فاعترف بحبه لى وأنه يريد التقدم لخطبتى بعد التخرج.. وبقلب أخ وعقل صديق مخلص شـرح لنا أخى أن الأمر ليس سهلا خاصة وهو يعرف إمكانيات صديقه الماديـة الضعيفة.. لكن أمـام إصرارنا دعمنا أخى وأبـدى موافقته أمام والدى الذى لم يملك سوى مباركة مشروعنا المحفوف بالمخاطر.

نجحنا بعد شقاء سنوات فى تدبير شقة صغيرة. قروض ومساعدات من

الأهل وجمعيات شـاركت بنصيبى فيها فضلا عن قيامى ببيع ما امتلكه من حلى ذهبية قدمتها عن طيب خاطر حتى يتحقق حلمى.. وكم كانت سـعادتى عندما اعترف الجميع لنا بأن الحـب بالفعل يمكن أن يصنع المعجزات.. لم يكن رهانى إذن خاسرا.. فها هى ذى قصة حبى تنتهى بالزواج.

ولم يكـن الزواج أيضا نهاية لقصة حبـى بل كان البداية لحب آخر اتخذ شكلا جديدا اتسم بقدر أكبر من المسئولية ورغبة أكبر على التحدى. أقنعـت زوجى بأن يترك عمله الحكومـى ودبرت له مبلغا معقولا لعمل مشروع خاص صغير كبر مع الأيام ليصبح شركة كبيرة كم كانت فرحتى وأنـا أرى زوجـى يخطو من نجاح إلى آخر.. وكم كان حبى له يتزايد.. لكـن ترى هل كان يبادلنى نفس الشـعور أم طـرأ على قلبه تغير ما؟ لم أتوقف لأطرح على نفسـى هذا التسـاؤل فقد كانـت معاملته الرقيقة لى ولبناته الثلاث تحمل له الإجابة كل يوم أو هكذا أوهمت نفسـى حتى أفقت على الحقيقة التى قلبت حياتى رأسـا على عقب.. ارتبط زوجى بسـكرتيرته وتزوجها وعرفت بأمر الـزواج.. فكان غضبى بقدر ما حمل لـه قلبى من حب. طلبـت الطلاق وأصررت عليه فمـا كان منه إلا أن أسـرع بتطليق السكرتيرة مؤكدا أننى وحدى من أحب وأننى وحدى من لا يستطيع الحياة بدونها.. أمام توسلاته ودموعه وندمه غفرت له.

سنوات عشتها بعد هذه التجربة فى شك وقلق وإن بدا قلبى متسامحا أو هكـذا أقنعت نفسـى وأقنعت زوجى.. اعتبرتهـا نزوة لكنها لم تكن كذلك عاد زوجى لسكرتيرته وعرفت وأصررت هذه المرة على الطلاق.

انفصلت عن زوجى ووهبت حياتى لبناتى لم أستجب لمحاولاته المستميتة فى العودة إليه.. وزاده رفضى عنادا فتخلى عن مسئوليته تجاه بناته.. وتحملت وحدى هذه المسئولية وكأن الله أراد أن يعاقبه فتعثرت شركاته بعد أن أدرك أن زواجه من سكرتيرته نذير شؤم فطلقها والغريب أن الله أعانه من عثرته بعدها..

وبقدر ما كانت حياته بعد انفصاله عنى صعبة بقدر ما سهل الله لى حياتى.. سنوات طويلة لكنى تحملتها راضية هادئة نجحت خلالها فى أن أعبر ببناتى بر الأمان حصلن على شهاداتهن الجامعية وتبوأن وظائف مرموقة وجاء الخطاب يطرقون الباب.. وكان من الطبيعى أن ألجا إلى أبيهن ليتمم مراسم الزواج.. واستجاب وبدأ يشاركنا تفاصيل حياتنا.. وجدته يتحول إلى شخص آخر أو على الأصح يعود إلى صورته الأولى التى أحببته عليها حنون مشارك منفق ببذخ.. وتزوجت البنات وعاد أبوهن إلىَّ يطلب الغفران.. كان ردى إننى اعتزلت الغرام ولم يعد فى قلبى مكان للحب بعدما فعله بى.. لكنه يصر ولا أدرى هل أعود إليه؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

صعب على من عرف الحب أن يعتزل الغرام.. لكن بقدر ما يكون الحب كبيرا يكون أيضا الغضب والجفاء.. لذلك أتفهم موقفك من زوجك خاصة وأن إخلاصه وصدقه وحبه لم يكن بقدر إخلاصك وحبك.. ربما هى طبيعة الرجال.. لكن الله عوضك خيرا فى النهاية بنجاحك فى تربية بناتك وهى أفضل جائزة يستحقها قلبك المعطاء الحنون.. فضلا عن ندم زوجك وطلبه الرجوع إليك.. وإن كنت لا أظن أن ما فعله كاف

لعلاج جرح سـنوات العناد والغياب والبخـل.. وربما لا أجدنى مقتنعة بقبول عودتك إليه.. فأنت نجحت بدونه وتحملت عذاب الحرمان وثقل المسـئولية وضاعت معهما أحلى سنوات عمرك.. وليس القادم من العمر أكثـر مما مضى.. أعرف أنه كلما ازداد العمـر بنا ازدادت حاجاتنا إلى الآخر.. لكن إلى أى آخر؟ الآخر من شاركنا العمر لا من تخلى عنا.

ربما أكون قاسية لكنه صوت العقل أما صوت القلب فاسمعيه داخلك واسـتجيبى لنصيحتـه هل بالفعل مـازال مصرا على اعتـزال الغرام أم أن حنينـا مازال يشـده عكس التيار. أفلح إن صـدق قلبك بأنه بالفعل اعتزل الغرام.

امرأة بلا قلب

أنــت طالق.. هــوت الكلمات كصفعــة مفاجئة على وجــه زوجتى. كطعنات قاســية أصابت كبرياءها وغرورها وجمالها. ذلك الجمال الذى بهرنى فأصبحت عبدا أســيرا لصاحبته التــى أدركت مدى ضعفى أمام سلاحها القوى فاستباحت استنزافى. لم أتوقف طويلا لأشخص حالتى. فقــد كنت متيما بها للدرجة التى شــلت تفكيرى. فلم أدخر وســعا فى تحقيــق كل مطالب أهلها ومــع ذلك كنت لا ألمح ســعادة على وجهها تقديــرا لمــا أفعله من أجلهــا. على رغم علمها أننــى أنفقت كل ميراثى لإرضائهــا وتلبية طلباتها. ويبدو أن ذلك بالتحديد هو ما كان يقلقها من الزواج أن إمكاناتى المادية لم تعد مناســبة لمواجهة احتياجاتها وجدتنى على استعداد لفعل أى شىء حتى تشعر بالرضا والسعادة. لم أجد أمامى ســوى التفكير فى السفر وشجعتنى هى عليه بقوة. وبالفعل سافرت عدة ســنوات إلى إحدى الدول العربية. رفضت هى مرافقتى طوال فترة سفرى بحجة أنها لا تتحمل آلام الإحســاس بالغربة. وامتثلت لإرادتها وكانت أجازتى السنوية بمثابة ميلاد جديد لمشاعرى التى زادتها الغربة تأججا. لكــن يبدو أن زوجتى لم تبادلنى هذا الإحســاس. وبعد عودتى النهائية بدأ القناع يتســاقط تدريجيا حتــى بدا الفتور والجفــاء حقيقة واضحة. صارحتها واعترفت أنها لم تتعود هذه الحياة المتقشــفة التى نحياها بعد انتهاء عقد عملى بالخارج وأن ما ادخرته من ســنوات الغربة ضاع على الشقة الفاخرة التى أصرت على شرائها. لم أستطع الرد ولجأت إلى حيلة

أحاول بها أن استدر عطفها وأثير غيرتها. فقلت مازحا لم يعد بمقدورى السـفر ثانية. وليس هناك سوى حل واحد هو أن أتزوج من ثرية شمطاء وبأموالها يمكنك أن تسـعدى بالحياة التى تحلمين بها. توقعت أن تثور زوجتـى فى وجهى. خاصة وهى تعلم بوجود تلك الثرية فى حياتى فقد تعرفت إليها من خلال عملى بمكتب المحاسـبة الذى أعمل به. وتتردد هـى عليه وعلى رغم علمى أن زوجتى تدرك جيـدا طبيعة العلاقة التى تربطنى بالثرية والتى لا تتعدى حدود العمل. إلا أننى تمنيت أن تسـىء الظن بى. لكنها لم تفعل على العكس فقد صدمنى ذلك البريق الشيطانى الذى لمحته فى عينيها. حاولت هى أن تخفيه سـريعا. فلملمت شتات تفكيرهـا لتفاجئنـى بخبث ردها. ولم لا؟ صدمنـى الرد. ولم تدع هى لى فرصة للتفكير. لاحقتنى بخطتها الشيطانية. أنا أعرف أنك لم ولن تحب غيرى فأنا وحدى من يسكن قلبك. أما هى فمجرد بنك يمنحنا السعادة. والأمر لن يتطلب منك تضحية كبيرة مجرد ساعات قليلة تقضيها معها.. لا أعرف كيف نجحت فـى إقناعى. وافقت كالمغيب. ألهذا الحد كنت مسـلوب الإرادة! تزوجت الثرية التـى فتحت لى خزائن أموالها أغترف منها كيفما أشـاء. لم يكن عطاؤها وسخاؤها مجرد مقابل تمنحه لرجلها الأصغر سـنا بقدر ما كان يعكس رقة قلب حنون معطاء رقيق. هذه الرقة وذلـك الحنان وكـم العطاء الذى منحتنى إياه جعلنـى أقارن رغما عنى بينها وبين زوجتى. لاكتشـف كم هـى أنانية جحود. تلك الأنانية التى دفعتها لحرمانى أن أكون أبا. الحلم الذى طال لسـنوات رفضت خلالها الإنجاب. بحجج واهية تعكس نفسا لا ترى إلا نفسها. والآن ارتد بصرى بفضل الثرية الحنون. التى لم أعد أطيق خداعها. ولم أستطع التمادى فى

استغلالها طلقتها بعد أن أعربت لها عن أسفى وندمى على ما فعلته بها. تركتها وأنا عاقد العزم أن أواجه زوجتى بجشعها وأنانيتها وأتحرر من أسر جمالها الذى قادنى للهلاك. صارحتها بأنى لم أعد أتحمل هذه الأنانية وهذا الجحود وهذا الجشع. طالبتها بالتغيير. هددتها بالطلاق. ظننت أننى فى لحظة غضب استثنائية سرعان ما تنتهى. حاولت استرضائى لأيام قليلة لكنها لم تدرك حجم ما أصابنى من تغيير. تزايدت شجاراتنا بسبب انتقادى لإهمالها لبيتنا طلقتها. لم أبال بصدمتها بل على العكس دفعتنى للمزيد. تفجر غضبى كالبركان. طلبت منها أن ترحل سريعا فلم يعد بمقدورى تحمل رؤية وجهها القبيح. خرجت فى صمت لم يخف صدمة نطقت بها ملامح وجهها المذهول وكبرياؤها الجريح. شهور طويلة وشريط حياتى معها يمر أمام عينى لأشعر معه كم كنت مخطئا فى حق نفسى. لكنى نجحت أخيرا فى إصلاح الخطأ. ما كدت أشعر بذلك حتى فوجئت برسائل منها يحملها أصدقائى تحثنى جميعها على الصفح وتطلب فرصة أخرى مبدية ندمها على أخطائها مؤكدة على استعدادها لتحقيق رغبتى فى الإنجاب. رسائلها أصابتنى بالحيرة ولا أعرف هل من الصواب أن أمنحها فرصة أخرى أم لا؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

اعترافك بخطئك يعفينى الآن من إدانتك فقد سارعت أنت بإدانة نفسك. فلا شك أن مسئولية هذه النهاية التى وصلت لها تعود فى المقام الأول عليك. فقد تهاونت فى حق نفسك وأعطيت بلا حدود لطرف لا يستحق. لم تدرك زوجتك أن الحياة الزوجية أساسها المشاركة

والتعاون والعطاء المتبادل إلا أن عشقك لجمالها جعلك لا ترى ذلك القبح الكامن فى أعماقها. فالزوجة المحبة لزوجها لا يمكن أن تدفعه لمثل هذا التصرف المسيء لرجولته ولكرامته ولأخلاقه. لذلك لا أتعجب أن تنتهى علاقتكما بطلاق فهى نهاية تبدو طبيعية. لا أعتقد أن فرصة جديدة تمنحها لتلك المرأة يمكن أن يتوقع معها ميلاد جديد لامرأة جديدة. نصيحتى ألا تعود إليها. ابحث لك عن زوجة أخرى على أن يكون جمال روحها وخصالها أكثر جذبا لك من جمال ظاهرى خداع.

○○○

اللــص

أن تقع ضحية لخداع الآخرين فتلك مشــكلة، أما أن يخدعك أقرب الناس إليك فتلك هى قمة المأساة.. من وهبته عمرك فأهدره وائتمنته على مال فبدده وأهديته مستقبلك فضيعه.. من كنت تعده أكبر سند وأخلص معين.. فإذا الأيام تكشف لك قناع الطمع والجشع والاستغلال فتبدو لك الحقيقة بشعة تشعر أمام دمامتها بالندم على اكتشافها وتتمنى لو أنك لم تكتشفها لتعيش وهما يحمل لك قدرا من النقاء والبراءة تفضله على واقع ملــوث مزيف.. حقا كنت أتمنى ألا أعــرف حقيقة الرجل الذى وهبته عمرى وأحببته وكانت مرآة حبى بالفعل عمياء فصورته لى شهما حنونا.. كان زميلى فى العمل لم تمض سنة على تعارفنا حتى شعر كل منا بأنه وجد شــريك حياتــه.. كافحنا معا من أجل تأثيث شــقة الزوجية وإن كنــت تحملت القدر الأكبر لكنــى لم التفت كثيرا لذلك فقد كنت وقتها أرى الحياة الزوجية أساســها التعــاون.. بعد الزواج حصلت على إعارة ورافقنى زوجى كنت أشــعر أن الله يكافئنــى على تحملى ضيق الحياة بصبر ودون شــكوى.. ســافرت للعمل وتضاعف دخلى إلا أن زوجى لم ينجح فى الحصول على عمل فى البلد الذى أعمل به وحتى لا أشــعره بالضيــق كنت أحول كل دخلى باسمه ليتــولى هو الإنفاق.. وللحق كان يفعل ذلك باعتدال فلم يكن من ذلك النوع الذى يميل للإســراف.. ومن وقت لآخر كان يطلعنى على المبلغ الذى استطعنا ادخاره.. مرت سنوات

الإعـارة وعدنـا إلى مصر.. توقعـت أن يبادر زوجى بـرد أموالى خاصة بعد أن سـارت حياتنا بشـكل طبيعى وعاد هو إلى عمله وزالت أسباب الحرج الذى حاولت تجنيبه إياه.. لكنه لم يفعل وكأنه اسـتحل لنفسه المـال.. فى البداية ترددت فى مطالبته برده لكنى تجرأت أخيرا بعدما شـعرت بنوع من التقتير فى إنفاقـه ورفضه تلبية الكثير من احتياجاتى واحتياجـات الأولاد. وكانت الصدمة فى أنه رفض وكانت حجته أننى مبذرة وأن وضع المال تحت يدى سيعرضه للتبديد.. وتأكيدا على حسن نوايـاه أخذ يعرض لى مشـروعا خطط له بدقة لاسـتثمار ما ادخرته من مـال.. لا أعرف كيف وافقت واستسـلمت لأفـكاره لكن كانت تنتابنى الهواجس بين الحين والآخر.. خاصة وأنا أرى أن حياتى لم يصبها أى تغيير ولم أشـعر بأى فائدة من المشروع الذى التهم كل سنوات الغربة.. وكنـا نعيش فقط على مرتباتنا الضئيلة.. وما كان يمزقنى حقا شـعورى بالتقصير تجاه أولادى الذين كانوا يعيشـون الحرمان بالرغم مما أمتلكه مـن ثروة.. وهذا بالتحديد ما شـجعنى لمواجهة زوجى، ثرت لأول مرة فى وجهه اتهمته بالبخل والجشـع والاسـتغلال وزادت حدة الشـجار بيننـا فرشـقنى بألفاظ جارحة وهـوت يده على وجهـى بالصفعات.. صدمنى عنفه خاصة بعدما أصر على طردى من الشقة التى ساهمت فيها بأضعـاف مـا تحمله.. لا أعرف كيف تحاملت حتـى وصلت إلى منزل والدتى التى لم تسـتطع أن تخفى ردود أفعالها الغاضبة تجاه ما حدث مؤكدة توقعها لهذه النهاية التى طالما حذرتنى منها لكنى لم أكن أكترث كثيرا بهذه التحذيرات فكانت ثقتى فيه بلا حدود لكنى أفقت من الوهم

بعد فوات الأوان تعلمت الدرس جيدا وعرفت الحياة على حقيقتها وإن كان الثمن الذى دفعته غاليا من سعادتى وسعادة أولادى.. عام مضى علـى انفصالى عن زوجى مر خلاله.. شـريط حياتـى معه آلاف المرات لأكتشـف كم كنت ساذجة بلهاء طلبت الطلاق لكنه رفض ويحاول الآن جاهدا اسـترضائى ويمطرنى وأولادى بالهدايا طالبا أن أعود للحياة معه ثانية.. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

اعذرينـى عندما أقول لك إن قانون المشـاعر الإنسـانية كما القوانين الوضعيـة لا يحمى المغفلـين.. لقد بالغت فى ثقتـك والتى لا أرى لها مـبررا لأن تصل لحد تنازلـك عن مالك لزوجك والـذى لا أدرى كيف استحلها واستباحها لنفسه صحيح أنه نجح فى استثمارها إلا أن العائد لم ينعكس على حياتك.. لذلك أشـك كثيرا فـى ندمه البادى الآن أمام عينيك خاصة أنه لم يبادر على الفور بإظهاره وإنما مضى عام كامل على انفصالكما وأعتقد أن عودته تحمل وراءها سـببا غير مفهوم.. نصيحتى لك أن تصرى على استرداد أموالك وأكدى له أن ذلك هو الشىء الوحيد الذى يثبت لك حسن نيته فإن فعل فيمكنك أن تمنحيه فرصة ثانية وإن كنت أشك فى أنه يستحقها. المهم أن تتعلمى الدرس جيدا وتكونى أكثر حرصا على حقوقك حتى لا يستبيحها الآخرون.

الدكتورة الممرضة

ما أقسى أن تشعر بالفشل وأنت فى قمة نجاحك، وأن تهتز ثقتك بنفسك وأنت فى قمة تألقك.. والأشد قسوة أن يكون المتسبب فى هذه الحالة المشوشة المضطربة التى وصلت إليها أقرب الناس إليك.. عشت هذا الشعور المؤلم لسنوات طويلة فقدت فيها الثقة فى نفسى على رغم كل ما وصلت إليه من نجاح كان محط إعجاب وربما غيرة وحسد قريناتى. وكان أيضا يعيش نجاحا مبهرا لدرجة أن لفت نظرى إليه.. هو الطبيب الناجح الذى يشهد الجميع له بالنبوغ والمهارة كجراح بارع.. لكنه لم يكن كذلك مع قلبى.. لم يبتر ألمى بمشرط لكنه آثر أدوية مسكنة زادت حالتى سوءا.. لم يكن ماهرا فى حبه بقدر مهاراته كطبيب.. لم يكن حاسما قويا جريئا بل كان مترددا ضعيفا.. استسلم لنظرة المجتمع الظالمة وظل أسيرا لسجن التصنيف الثقيل للبشر بحسب مراكزهم الاجتماعية ونوعية الكليات التى تخرجوا فيها. لم يستطع كسر قيود بالية تمنع طبيبا مثله أن يتزوج ممرضة مثلى.. حتى لو كنت متميزة بحصولى على مجموع كبير فى الثانوية العامة أهلنى للالتحاق بكلية التمريض التى قفزت درجات الالتحاق بها فى ذلك الوقت.. وكان هدفى وراء ذلك ضمان الحصول على فرصة عمل فور تخرجى لأخفف الحمل عن كاهل والدى الموظف البسيط الذى يتحمل بصبر الجِمال مشقة تربيتى وأخواتى.. لم أدرك أن للمجتمع تقييما آخرا

ونظرة أخرى لأمثالنا.. خاصة أنا المرضة.. على رغم كل ما حققته من نجاح دفـع لاختيارى المرضة المثالية لأحد المستشـفيات الكبرى التى أعمـل بها وكرمت فى حفل خاص.. لم يكن تكريمى لمهارتى فى عملى والتزامى وإتقانى له فقط لكن أيضا بسـبب اسـتكمالى لدراستى وحصولى على الماجستير.. فى الحفل كنت محط إعجاب وتقدير الجميع.. حتى هو الطبيب الناجح اعترف أن جزءا كبيرا من نجاحه يرجع الفضل فيه لمهارتى كممرضة.. شعرت بعد الحفل باهتمامه يزداد بى..

لكنى تجاهلت هذا الإحسـاس.. وانصب تركيزى على عملى.. لكنى لا أعـرف لماذا استسـلمت لكلماته فى الحفـل.. ربما لأنى نجحت فى الحصول على الماجسـتير وما هى إلا سـنوات قليلة ويسبق اسمى كلمة دكتور.. هذا اللقب الذى يمكن أن يساعدنى فى تحطيم حواجز المجتمع الطبقيـة البالية.. لكنى كنـت واهمة أخطأت فى حسـاباتى.. فعندما صارح الطبيب أهله بمشاعره نحوى معلنا عزمه على الاقتران بى.. ثاروا ورفضوا.. والسـبب هـو تلك النظرة المحتقرة التـى يتعامل بها البعض مـع مهنتى.. لم يصارحنـى الطبيب الحبيب برد فعل أهله آثر الصمت واسـتمر فى علاقته بى كأن شيئا لم يكن.. وإن شعرت أنا بهذا الرفض من خلال الأعذار المتكررة التى كان يسوقها لى تأجيلا للارتباط الرسمى.. وبعد فترة لاحظت أنه بدأ يتغير معى.. وإن كان لم يعترف صراحة بما هو مقدم عليه.. حتى فوجئت يوما بحركة غير عادية بالمستشـفى الكل يسرع بتهنئته وكانت صدمتى عندما علمت بأنه خطب إحدى قريباته.. لماذا لم يخبرنى؟ لماذا خدعنى؟ لماذا لم يحسـم علاقته بى قبل أن يقدم

على خطبة أخرى؟! لم تقنعنى كلماته الآسفة العاجزة عن تبرير حجم جريمته فى حقى.. ابتلعت مرارة قلبى الجريح ولملمت أشلاء نفسى المنكسرة وانسحبت فى صمت.. لم يكن أمامى سوى مزيد من الانخراط فى العمل والدراسة حتى نجحت فى الحصول على الدكتوراة.. ومرة أخرى لم أشعر بأننى محط أنظار الجميع.. لكنى شعرت هذه المرة أنى أعيش فى مجتمع منافق يكيل الأمور بمكيالين.. واستسلمت لحالة الفرحة التى أحاطت بنجاحى.. حتى جاءنى هو مهنئا.. معتذرا مؤكدا ندمه خاصة أنه يعيش حياة زوجية فاشلة.. لا تربطه بزوجته أدنى علاقة تفاهم.. وهو ما دفعه للتفكير فى طلاقها.. كل ما يخشاه هو وقع هذا الطلاق على ابنتيه.. عرض علىّ الزواج لكنه آثر أن يكون سريا يقتصر على أهلى فقط حتى ينتهى من مسألة طلاقه.. لا أدرى هل أقبل أم لا؟!

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أتعجب من طرحك لهذا التساؤل الذى يعكس حيرة على رغم أن الأمر لا يحتاج إلى أى تردد.. فالمسألة محسومة من البداية.. حسمها طبيبك المتردد عندما انساق وراء رغبة أهله واستسلم لنظرة المجتمع الضيقة لمهنة من أهم المهن.. ولم يقدرك حق تقدير.. على رغم حصولك على دراسات عليا ونجاحك فى مهنتك.. لكن مشكلتك لا تكمن فى نظرة المجتمع ولا فى شخصية حبيبك الضعيفة، مشكلتك أن ثقتك بنفسك لم تكن بالقدر الذى حققته من نجاح.. ربما وقعت أنت الأخرى أسيرة للنظرة المتدنية لمن يمتهنون مهنتك.. كما وقع طبيبك من قبل، ربما

كنت أكثر وعيا عندما صممت على استكمال مشوارك أما هو فهرب فى منتصف الطريق.. لا أعتقد أن شخصيته الضعيفة أمام إملاءات أهله ستجعله شخصا آخر.. والدليل أنه عرض عليك زواجا سريا لا أرى مبررا له.. كونى أكثر ثقة وارفضى عرضه.. وتأكدى أنك يوما ستعثرين على الشخص المناسب الذى يقدر قيمتك بحق وتكونين مصدرا لفخره وفخر أسرته أيضا.

الحنان المفقود

ما أقسى أن تتسول الحنان من أقرب الناس إليك.. أن تنتظر منهم لمسة عطف، نظرة اهتمام، أن تشعر أن حياتك تهمهم تفاصيلها، محل شغفهم وتفكيرهم.. تؤرقهم أزماتك ويقلقهم تعبك.. ما أقسى أن تشعر أنك على هامش حياة من كان من المفترض أن تكون أنت كل حياته أو على الأقل جزءا مهما منها إلا أنه بخل بالقليل ليعطيها كاملة لآخر.. للأسف كان هذا شعورى تجاه والدى بالرغم من حبى الشديد له وسعيى الدائم لكسب مودته ورضاه.. كنت الهادئة المطيعة التى لا تعصى له أمرا.. كنت الممتصة لغضبه العاملة على راحته الملبية لكل طلباته دون تذمر.. إلا أن كل ذلك لم يشفع لى كى أحظى بمكانة متميزة فى قلب والدى كتلك التى يحظى بها أخى ذو الطباع الحادة والسلوك العنيف والتى جاءت كنتيجة طبيعية للتدليل الزائد الذى منحه والدى له.. كان يلبى كل طلباته مهما كلفه الأمر من عناء.. تدليل أفسده جعله أنانيا غير مسئول جحودا إلا أن هذه الصفات السلبية لم يكن يراها أبى بعيونه التى أعماه حبه الشديد لابنه الوحيد.. هكذا عشت طفولتى وشبابى محرومة من عطف الأب لم يعوضنى حنان أمى واهتمامها عن ذلك الاحتياج لاهتمام أبى وعطفه سامحه الله كم أشفق عليه الآن وهو راقد على فراش المرض يعانى فوق آلام جسده الواهن عذاب قلبه الملهوف على أحب الناس إليه.. ابنه الذى كان يبخل حتى بزيارته إلا نادرا حاولت كثيرا التخفيف عن أبى أسوق له الأعذار مبررة غياب

أخـــى وانقطاعـــه عن زيارته بحجج مختلفة كنـــت أدعى مرض زوجته وأنا أعرف أنه يرافقها فى رحلة خارج القاهرة.. كنت أنسج من خيالى الأكاذيـــب كى تظل صورة أخى كمـــا يحب أبى أن يراها.. الغريب أن والدى كان يصدق أكاذيبى أو ربما كان يرغم عقله على قبولها.. عندما اشـــتد به المرض وراح فى غيبوبة طويلة لا يخرج منها ســـوى لحظات كان فيها لســـانه لا يكف عن الســـؤال عن أخى.. كان يريد أن يراه.. حاولـــت تلبية طلبه اتصلت بأخى فجـــاءت كلماته باردة تحمل أعذارا واهية تؤكد على أنه سيأتى فى أقرب وقت فقد كان كالعادة يصطحب زوجتـــه فى رحلـــة أخرى من رحلاته التى لا تنتهـــى.. لم يكن أمامى ســـوى نســـج أكذوبة أخرى مما اعتدت عليها واحترفتها رحمة بأبى.. ولأول مـــرة أرى عيون أبى تحتضننى بنظرات حانية وكدت أطير فرحا عندمـــا امتدت يده الواهنـــة لتحتضن يدى وبصعوبـــة حدثنى بكلمات تلقفتها أذنای بصعوبة: ســـامحينى أعرف أننى ظلمتك.. لم يكن ذلك عن قصد بل كان رغما عنى.. كنت أرى أخاك الســـند والعون والامتداد الطبيعـــى لى، من يخلد باسمه ذكراى.. لكنه كثيرا ما خذلنى، تدليلى أفســـده.. تعود أن يأخذ فقط.. لم يعرف يوما العطاء.. كم أنا حزين.. انهمرت الدموع من عينى بينما أسمع كلمات أبى، حزنى عليه ضاعفه حزنى على نفســـى.. لماذا حرمنى من تلك المشـــاعر الجميلة التى بدأت الآن لماذا جاء اكتشافه بمدى حبى له وهو على فراش المرض.. ما الذى جنيتـــه حتـــى لا أحظى بتلك المكانة التى يحظـــى بها أخى على رغم جحـــوده وأنانيته لم أقصر يوما فى حق أبى بشـــهادة الجميع.. فلماذا بخل بحنانه؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

يخطئ كثير من الآباء عندما يميزون فى تعاملهم مع أبنائهم فيؤثرون أحدهم على الآخر.. وهو ما يمكن أن يتسبب فى خلق الضغينة والكراهية بينهم وللأسف يحدث ذلك دون وعى من الآباء لخطورة ما يفعلونه فينساقون وراء عواطفهم التى تميل لابن معين إما بسبب النوع أو بحكم تشابه فى الصفات وربما الملامح والطباع. والدك كان واحدا من هؤلاء وكنت أنت الضحية لكن ثقى أن برك لوالدك وتفانيك فى خدمته لن يذهب سدى.. قد يبدو لك أن والدك اكتشف مدى عطائك وتضحيتك متأخرا لكنى أرى العكس فوالدك لم يخفى عليه يوما معدنك الطيب ويعرف جيدا الفرق بينك وبين أخيك.. إلا أنه كما سبق أن قلت كان يميل له باعتباره الرجل الذى يحمل اسمه.. يكفيك الآن رضا والدك عنك وأجرك ربما لا تنالينه فى الدنيا لكنه بلا شك سيثقل ميزان حسناتك وتنالين به ما هو أهم وهو رضا اللّه.. فهنيئا لك..

○○○

الحقيقة الجارحة

«أنت لست ابنتى» انطلقت الكلمات القاسية عجز عقلى عن كبح جماحها. انطلقت فى لحظة غضب عمياء. لا أعرف كيف طاوعنى قلبى فجرحت بها طفلتى الصغيرة وأدميت قلبها. ألم أعاهد نفسى على حفظ السر؟! وألا أبوح به إلا بعد أن يشتد عودها وتقوى على تحمل صدمة الحقيقة. تلك التى حاولت وأدها منذ أن حملتها بين يدى ووقعت عيناى عليها. عندما ضممتها إلى صدرى شعرت أنها بالفعل ابنتى وأبيت أن أتركها لغيرى. أتذكر تلك اللحظة جيدا. السنون العشر التى مرت عليها لم تفلح فى محو ذلك الخفقان الذى اهتز له قلبى. وقتها كنت أما لولدين. وكم تمنيت أن تكون لى ابنة لكن حلمى بدا عسيرا فى ظل حياة زوجية تعسة يسودها جفاء وحرمان وهجر. سنوات طوال أنا وزوجى شبه منفصلين لا يربطنا سوى ورقة رسمية هى فقط ما تعترف بأننا مازلنا زوجين. أما الواقع فيخفى شيئا آخر. أنا أم فقط نسيت تماما أننى امرأة وزوجة. لم يكن الأمر سهلا على فى البداية. إلا أن انشغالى بأبنائى أعاننى كثيرا على تحمل تلك الحياة غير الطبيعية وعندما كبر الولدان وجدت فى تلك الطفلة تعويضا آخر عن تلك الحياة القاسية. صحيح أنها ليست ابنتى. لكنها صارت كذلك منذ اليوم الأول الذى رأيتها فيه. يوم أن حملها حارس العقار الذى أقطن فيه وجدها ملقاة فى أحد الشوارع فأشفق عليها طلبت منه أن أراها وعندما ضممتها إلىّ

شـعرت بقلبى يخفق بقوة شعرت بسكينة تملؤنى جعلتنى أقطع وعدى لإحـدى قريباتـى التى طلبت تبنيها بعد أن حكيـت لها عنها. كانت هـى الأحق منى بتلك الطفلة بعـد أن حرمها الله من الإنجاب فأرادت أن تتبنـى هـذه الطفلـة واعتبرتها هدية من الله لها. لكنى لم أسـتطع أن أمنحهـا الطفلة اعتـذرت لها واقترحت أن تتبنـى طفلة أخرى من أحد الملاجئ. لم أسـتطع أن أفرط فى هذه الطفلة التى اقتحمت قلبى. قمت باتخاذ الإجراءات الرسمية واسـتخرجت لها شهادة ميلاد بالطبع لم تحمل فيها اسمى ولا اسـم زوجى. ومرت السنوات نسيت فيها تلك الورقـة الكاذبة التى تثبت أن الصغيرة ليسـت ابنتى. بعد أن أصبحت بحكم الرعاية والسـهر والحنان والخوف والقلق والحب أمها الحقيقية. ملأت الطفلة الصغيرة علىَّ حياتى خاصة بعد أن كبر الولدان وأصبحت لهمـا حياتهما الخاصة التى يقضيانها خارج البيت الذى تحول لمجرد مـكان للنـوم فقط. على عكـس ابنتى التى ظلت بجـوارى ملتصقة بى لا تفارقنـى أينما ذهبت. كانت هى أيضا الأكثر تعلقا بى والأكثر حنانا وبرا ورحمة. كان حبى لها يشغلها عن تساؤلات كانت تقفز بين الحين والآخـر لترهـق عقلها الصغير البرىء الذى بدا عاجزا عن فهم طلاسـم فرضتها بيانات مدونة فى شـهادة الميلاد التى لا تحمل اسمى ولا اسـم من تعتقده أباها. تحايلت بكل الطرق لأتحاشـى الحقيقة سنوات طويلة نجحت فى إخفائها حتى أعمتنى لحظة غضب. وقتها كنت أمر بحالة نفسـية سـيئة قادتنى إلى وضع نهاية حاسمة لزواجى الشكلى وبالفعل طلبت الطلاق وأمام إصرارى لم يملك زوجى سـوى الموافقة على طلبى.

وعشـت مع طفلتى الصغيرة بعد أن سـافر ابنى للعمل بالخارج وكانت خير معين لى على تلك التجربة القاسـية. ولا أعرف أى شيطان تملكنى جعلنى أجرح قلبها بالحقيقة وأعترف لها بأنها ليسـت ابنتى. وكانت درجات ابنتى المدرسـية الضعيفة التى حصلت عليها على غير عادتها مجرد القشـة التى فجرت بركان غضبى. لم أنتبه إلى كلماتى الجارحة إلا بعد أن شعرت بابنتى تدخل فى نوبة بكاء. وانهرت معها لم أتمالك نفسـى احتضنتها بقوة وكأنى أعتـذر عما قلته حاولت أن أنفى لها كل ما ذكرتـه لكنها لم تصدقنى اضطررت إلى اختلاق قصة أخرى أخبرتها أنهـا بالفعل ليسـت ابنتى وإنما هى ابنة لإحـدى قريباتى. ماتت بعد أن ولدتهـا ولحقـت بزوجها الذى أدركه الموت أيضا قبل أن يرى ابنته أقنعـت الصغيرة بالحكاية الكاذبة لكن شـرخا ظـل قائما بينى وبينها لا أدرى كيف أرممه لتعود علاقتى بابنتى كما كانت عليها؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

كثـيرا ما نقع ضحايا لأخطاء نرتكبها فى لحظة غضب. وكما يقولون فـإن العاقل من يملك نفسـه عنـد الغضب. ومع ذلك أقـول رب ضارة نافعة. فالحقيقة كانت يوما ستكشـف عن نفسـها. وحججك الساذجة لـن تفلح يومـا فى إقناع صغيرتك بهـا. أما وقد عرفتهـا الآن فلم يعد أمامك سوى مزيد من الحنان والعطاء والاستيعاب لتلك الحالة من التوتر والقلـق وربما الجفـاء التى من المتوقع أن تعانى منهـا ابنتك فى الفترة القادمـة لكنى أعتقد أنهـا حالة لن تدوم طويلا وسـرعان ما تتجاوزها عندمـا تـدرك أن حياتها مرتبطة بك وأن لا حيـاة لها بعيدة عن بيتك

ولا أمان لها إلا فى حضنك فأنت بالفعل أمها وسندها وحمايتها وقلبك هو المأوى والسكن والبديل له سيكون الضياع والتشرد خاصة بعد أن اقتنعت أنها فقدت والديها. نصيحتى أن تتمسكى بتلك الرواية وألا تذكرى لها الحقيقة وإلا تسببت لها فى صدمة أخرى ربما لا تتحملها. ابنتك الآن فى حاجة لمزيد من الحب والحنان؛ وأعتقد أنهما الحل الوحيد لتجاوز هذه الأزمة ويقينى أنها ستكون عابرة وما يدفعنى للتفاؤل تلك العلاقة الجميلة التى تربطكما وتلك الروح الملائكية الجميلة التى تتسم بها ابنتك.

الحب الوحيد

سنوات مرت على فراقنا ومازلت أشعر بحبه يجرى فى دمى.. صورته لا تفارقنى.. وصوته مازال صداه يتردد فى قلبى.. أتذكر كل تفاصيل لقاءاتنا القصيرة البريئة.. والمكالمات المقتضبة السريعة وعلى ذكراها فقط أعيش.. أتذكر صوته المتهدج المرتعش وهو يصرح لى بحبه لأول مرة «أحبك» قالها فشعرت أننى أملك الدنيا.. وقلتها «أحبك» فكادت الدماء تنفجر من وجهى خجلا.. لحظات جميلة هى أجمل ما فى دنياى.. أين أنا الآن من تلك المشاعر الرقيقة.. أين لى بها وسط حياة لاهثة صاخبة باردة على هذه اللحظات فقط. أعيش فقط على ما تحمله ذاكرتى التى ترفض لحظات أخرى قاسية حزينة عندما حمل لى الشاب الذى أحببته أسوأ خبر فى حياتى.. رفض والده لى بعد لقاءات جمعت الأسرتين.. كنا على وشك إعلان خطبتنا حتى جاء قرار والده الحاسم ليبتر كل آمالى.. سألت عن السبب فرفض خطيبى أن يفصح به.. وبعد إلحاح صارحنى بأن السبب هو أمى تلك الشخصية القوية الحادة المتسلطة.. هكذا بدت فى عين والد خطيبى.. رآها الآمر الناهى ذات الكلمة العليا التى تتضاءل أمامها شخصية والدى.. لم تعجبه هذه العلاقة وخشى أن أكون صورة مكررة من أمى.. فجاء رفضه وحاول خطيبى إقناعه لكنه فشل وأصر على موقفه الرافض لى.. استسلم خطيبى لقرار والده وافترقنا سنوات مرت على فراقنا عرفت خلالها أنه تزوج

من أخرى.. أما أنا فمازلت أعيش على ذكرى حبى له ورفضت الارتباط بأى شخص آخر ليقينى أن قلبى لن يعرف الحب ثانية وخشية أن أظلم مــن ارتبط به وقلبى مازال يحمل حبا لشــخص آخر.. لكن بعد إلحاح شــديد من أهلى وافقت على الزواج من شــاب رشــحوه لى رأوا فيه كل مواصفات الزوج المثالى وللحق لم أر عكس ذلك قبلت الزواج منه وأنجبت وســارت حياتــى معه هادئة لا يعكر صفوها ســوى تلــك الأحلام التى تراودنى بين الحين والآخر.. أرى فيها الشــاب الذى أحببته وإن كان يظهــر دائما على صورة زوجى أراه يتقدم لخطبتى ويوافق أهلى ويبارك والده فأشعر بفرحة تغمرنى لا يخرجنى منها سوى استيقاظى من نومى ليلفنى إحســاس كبير بالذنب وموجة من تأنيب الضمير لا أعرف كيف أتخلص من هذا الحلم مع العلم أنه تراودنى دائما فى حالة شجارى مع زوجى لا أدرى كيف أتخلص منه؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

كثيرا منا مر بتجربة الحب الأول وقليل من انتهى حبه نهاية سعيدة بالزواج إذ صح أن اعتبرنا الزواج نهاية ســعيدة ومع ذلك لم تتوقف بنا الحياة واصلنا مشــوارنا فيها وقاد حظ بعضنا لحب جديد وتعثر كثيرون ورضــوا بزواج تقليدى ربما حمل شــكلا آخر من الحــب وإن كان أكثر اســتقرارا وهدوءا.. لا أنكر أن مشــاعر الحب الأول تلك المشاعر البريئة البكر هى أجمل ما تهبنا الحياة.. لذلك نشــعر بتعاســة عندما نفقدها.. خاصــة عندما تأخذنا دوامة الحياة والــزواج والبيت والأولاد وصراعات العمل وضغوط الحياة.. هذا الصخب يجعلنا نحنّ كثيرا لتلك الأحاسيس

الرقيقــة نتمنى أن تعاودنا لتأخذ قلوبنا المتعبة حيث الراحة والســعادة والرضــا.. كل منا ينتابه بين الحين والآخر هذه المشــاعر لكن ســرعان ما يطردها الواقع بكل تفاصيله الخشنة المزعجة المسيطرة.. مشكلتك أنك تركت نفســك أسيرة الحب الأول وإن كنت تبذلين جهدا كبيرا للتغلب عليهــا والدليــل على ذلك صورة زوجك التى تظهر مكان الشــاب الذى أحببتــه فعقلك يرفض أن يحل آخر محله.. إلا أن لحظات الغضب من زوجــك أحيانا والتى لا تخلــو منها أى حياة زوجية تدفعك للرجوع إلى الماضى أملا لالتماس بعض الســلوى.. نصيحتى ألا تجعلى ذكرى حبك الأول تشوش على حياتك الزوجية وعلى حبك لزوجك وبيتك.. لن أقول لك مثلما قال الكاتب الكبير إحســان عبــد القدوس إن حبك الأول وهم وأن حبك الأول هو حبك الأخير فأنا ممن يؤمنون أن الحب الأول ليس وهما وإنما هو أجمل ما فى واقعنا من مشاعر لكننى أؤمن أيضا بأن حبك الأول ليس حبك الوحيد.. افتحى قلبك لزوجك وحاولى إســدال ســتائر النسيان على حبك الأول.. وسوف تكتشفين أن حبك لزوجك هو الأقوى والأبقى والأكثر استقرارا.

أبغض الحلال

كان كل شـــىء يسير فى حياتى طبيعيا أوهكذا بدت سنوات طفولتى الأولى. كنت أشـعر بدفء وحنان أســرتى الصغيرة.. أمى وأبى وأختى الكــبرى. لا أعــرف بالتحديد متى بدأت الأمور تتغــير من حولى. ربما جــاء التغير تدريجيا وربما جاء فجــأة. لا أتذكر تفاصيل ما حدث وإن كانت علاماته محفورة ندوبا شــوهتنى نفســيا وروحيــا وعاطفيا. كنت وأختى لا نزال صغارا عندما بدأت تصل لمســامعنا أصوات حادة تعكس غضبــا وعنفا على رغــم تحفظ صاحباه فى البداية أمــى وأبى ألا يصل إلينا كنا نســمع كلمات لا نفهم معناها لكننــا ندرك ما فيها من غضب وثورة وانفعال. محاولات كثيرة كنت أبذلها وأختى حتى نتجنب سماع تلك المشــاجرات. كنا نضع الوســائد على رءوســنا تارة أو ننكمش على أنفســنا تارة أخرى ونســد آذاننا بأيدينا. نبكى أحيانا ونضحك بشكل هســتيرى أحيانــا أخرى. كنا نفعل كل ما تدفعنــا إليه عقولنا الصغيرة هربا من الذى كان يعتصر قلوبنا. وتتزايد وتيرته تدريجيا مع تزايد حدة الشــجار بين والدينــا ونصل إلى قمة الرعب عندمــا يصلا لقمة الغضب ونتهــاوى من شــدة التوتر والألم بعدما تتوقف وصــلات العنف المتبادل التى عجزنا على اعتيادها على رغم تكرارها المســتمر على فترات بدأت تتقارب تدريجيا لتصبح طقســا يوميا فى حياتهما. لم نســتطع التمييز وقتها بين من فيهما المخطىء ومن المصيب كلاهما نحبه وكلاهما يخطب

ودنا بشـكل مبالغ فيه بعد كل شجار. لكن كلاهما أيضا كان يساهم فى تشـويهنا واضطرابنا وخوفنا.. لكنهما للأسف لم ينتبها لذلك. ولم يكن باسـتطاعتنا أن ننبههم فقـد كنا أصغر من أن نحتـج أو نعبر أو حتى نترجم ما يعترينا من مشـاعر. حتى بعد أن كبرنا قليلا لم نسـتطع أن نواجههم وإن كنا بدأنا نفهم بشـكل أكـبر حقيقة الخلافات من خلال الكلمـات التى كان كلاهما يقذفها فى وجه الآخر. كانت أمى تتهم أبى دائما بعدم المسـئولية والسـلبية والضعف وعدم الطمـوح. وكان يتهمها بالعصبيـة والعنف وإدمان النكد.. اتهامـات متبادلة باتت محفورة فى ذاكرتنا من كثرة ما سمعناها. وما إن بدأنا اعتيادها حتى تسللت كلمات أخطر حملت تهديدا لمستقبلنا. رددت أمى كلمة الطلاق كثيرا وتجاهلها أبى مرارا وكدنا نتيقن أن أمى ليسـت جادة فيها وأن أبى لن يلبى لها طلبها مهما وصل إصرارها. لكن المسـتحيل الذى كنا نسـتبعده ونخشى وقوعه تحقق وانفصل والدانا. أتذكر جيدا تفاصيل ذلك اليوم أسترجعها فيعترينى نفس الإحساس ذلك الخوف المزوج بالحيرة والعجز والضياع.. كم كان المشـهد مفجعا عندما أسـرع أبى غاضبا يحمل حقيبته بعصبية يلقى باللعنات والسـباب يمطر بها أمى ثم يلقى علينا نظرة وداع أخيرة حزينة ويرحل موصدا بقـوة الباب فى وجوهنا وقلوبنا.. مزقتنا الصدمة أهذه هى النهاية؟ يتشـتت شمل أسرتنا يذهب أبى فى طريق وأمى فى آخـر.. ونظـل نحن فى حيرة فـى أى الطريقين نسـير. لم يعد طريقنا واحـدا ولا بيتنا واحـدا. ولا نعرف إلى أى البيتين ننتمى. إلى بيت أبى الذى لم يعد بيتنا. تلك الشـقة التى استأجرها وكل ما فيها غريب منفر

لا نشـعر بانتماء له. أم بيت أمى الذى لم يعد هو الآخر بيتنا فلا نشعر فيـه بالأمان والراحة والدفء بعـد رحيل من كان وجوده مصدرا للأمان والراحة والدفء. لو أدركا والدانا قدر ما سـببه قرارهما من ألم لنا لكانا فكـرا ألف مرة قبل أن يقوضا حياتنا.. أعترف أن كلا منهما حاول قدر اسـتطاعته تعويضنا عن تلك النهاية المفجعة لكنهما فشـلا فسعادتنا لم تكـن تتحقـق إلا بوجودهما معا فلم يكن وجـود أحدهما كاف لتعويض غيـاب الآخر. لكن هذا هو قدرنا تحملناه بسـخط أحيانا ورفض أحيانا وغضب فى كثير من الأحيان لكننا استسلمنا فى النهاية. بين بيت أبى وبيت أمى عشـنا حياة الترحال القلقة وكبرنا ولم نعرف طعما للسـعادة وتزوجنا وعلى حياتنا الجديدة عقدنا الآمال. لكن للأسف فشلت أختى فـى حياتها الزوجية فقـد ورثت عصبية أمى وعنادهـا فضلا عن ذلك الاضطراب والقلق النفسى الذى عانت منه بعد طلاق أمى.. كانت أختى كثيرة الشـجار مع زوجها ولم تفلـح محاولاتى للتدخل للإصلاح بينهما لتنتهـى حياتها الزوجيـة بالطلاق. تجربة أمى وأختـى جعلتنى على النقيـض تماما منهما كنت هادئة مستسـلمة أو علـى حد وصف أختى ضعيفـة خانعة. لم أكن أرى نفسـى كذلك بل كنـت أعتقد أن ما أفعله هـو الحكمة والعقـل اللازمان لتحقيق حياة زوجية مسـتقرة.كنت أرى ضرورة أن أحنى رأسى لأى عاصفة تهدد أسرتى حتى تمر بسلام. هكذا اعتقـدت وتوهمت أنى نجحت. كنت أتغاضى كثيرا عن هفوات زوجى بـل وتجاوزاته وأخطائه لكـن يبدو أن ما فعلته دفعه للاسـتقواء فكان يقابـل هدوئى بغضب وعنف وصفحى بالمزيـد من التجاوزات والتطاول

بــدأ بكلمات جارحة وانتهى بخيانتى التى لم يعبأ كثيرا بإخفاء أدلتها وعندما واجهته كان رده أكثر «بجاحة» مما توقعت اعترف أن هذه هى حياته ولن يغيرها وعلىّ تقبلها كما هى وإلا الطلاق سيكون مصيرى مثل أمى وأختى. لهذه الدرجة من الضعف والهوان وصلت ومع ذلك لا أجد فى نفسى قدرا من الشجاعة لاختيار البديل الذى يرد لى هيبتى وكرامتى المهــدرة فأنا أخشــى على أولادى من تجربة الطــلاق المريرة التى ذقت عذاباتها أشــفق على قلوبهم ومشــاعرهم من التمزق الذى عانيته. أشعر حقيقة بالعجز ولا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أعرف كما يعرف الجميع أثر الطلاق السلبى على نفسية الأبناء وأدرك تمامــا أن الثمن الذى يدفعه الصغار أضعاف ما يدفعه الآباء فبرغم الآلام التى يسببها الفشل فى الحياة الزوجية إلا أن احتمالات تغييره لا تزال قائمة فيمكن لكل طرف أن يبدأ من جديد مع آخر ربما يكون أكثر تفهما فينســيه آلام الإخفاق لكن أحدا لا يســتطيع أن يلملم جراح الصغار أو يعيد لهم ثقتهم التى اهتزت فى أنفســهم وفيمن حولهم ولا أحد يمكنه تجميل التشــوهات التى أصابت نفســيتهم والتى تظل محفورة إلى الأبد خاصــة إذا لم يصادفــوا من يقدر تلك الظروف التــى مروا بها. ودعينى أصارحــك أنك وأختك ضحية هذه الهزة العنيفة التى عصفت بحياتكما إثر انفصــال والديكما وإن اختلف رد فعــل كل منكما. فبينما أصبحت أختك شخصية حادة عنيفة تحولت أنت لشخصية مستكينة خانعة على حد تعبير أختك وكلاكما للأســف على خطأ. أقــدر تماما أنك تحملت

كثـيرا لتجنبى صغـارك آلام الانفصال لكن على رغم نبل الهدف إلا أن الوسـيلة لتحقيقه كانت خاطئة فلا يمكن أن تحققى السـعادة لأبنائك على حسـاب كرامتك. فتهاونك فى حق نفسـك واستسلامك التام لكل خطايـا زوجك على رغـم كل ما ينالك منه من تجريـح لن يكون وقعه طيبـا على نفوس صغارك وربما تركت فيهم نفـس الآثار التى تحاولين تجنبهـا. لا أطلب منـك أن تكونى صورة من أمـك أو أختك بل كونى نفسـك لكن بشكل أكثر قوة وحكمة فى تعاملك مع زوجك حتى يتوقف عن الاسـتهانة بك ولا يندفع نحو المزيد لتجدى نفسـك مضطرة لوضع نفس النهاية التى عشت حياتك كلها تهربين منها.

❍❍❍

التوأم

توأمــا جئت وأخى للحياة وعشــناها معا. تقاسمنا فيها كل شــىء: الفرحة الألم الأمل الأحزان. أقدامنا ســارت نفس الطريق وقلوبنا خفقت بنفس المشاعر، القلق مع بداية أول يوم دراسى، كابوس الثانوية العامة، حلم التخرج وأخيرا تكوين أسرة وهنا بدأ طريقنا يتشعب، حرص أخى على أن أســبقه فى الزواج، فضل الســفر للعمل بالخارج ليســاعد أبى علــى تكاليف زواجى. وبفضل مســاعدته تحقــق لى حلمى فى الارتباط بمن أحببت.ســنوات مرت وأنا أشــعر أن جميل أخــى يطوقنى كنت أشــعر أن فرحتــى لم تكتمــل إلا بعد الاطمئنان على أخى رشــحت له أكثر من عروس لكنه رفضهن. كنت أشــعر أن قلبه مازال يخفق بزميلة الجامعــة. بحثت طويلا حتى اهتديت إليهــا وعرفت أنها خرجت من تجارب خطوبة فاشــلة صارحتها بحقيقة مشــاعر أخى وصارحتنى بأن قلبها مازال يكن له نفس المشــاعر. مهدت للقاء يجمعهما وبعده تعددت لقاءاتهما لتنتهى بالزواج. ما كدت أشــعر بالفرحة حتى بدأت أنتبه إلى مشــكلة أخرى طالما أجلت التفكير الجدى فيها بســبب انشغالى بزواج أخــى فقد مضى علــى زواجى عامان ولم أرزق فيهما بطفل صحيح أننى استشــرت عــدة أطباء أكدوا جميعهم أن المســألة تحتــاج فقط إلى وقت وعلاج بســيط إلا أنه لم يأت بفائدة لذلك قررت استشــارة طبيب ذائع الصيــت والــذى صارحنى بأن حالتى تحتاج إلى عــلاج مكثف ومكلف

فى نفــس الوقت. لم يكن فى مقدور زوجى تحمــل تكاليف العلاج ولم أرغــب فى اللجوء إلى أخى فيكفيه ما تحمل من أجلى. شــعور باليأس انتابنى حاولت قدر المســتطاع أن أخفيه عن أخى لكنه قرأه من وجهى فقد كان أقرب إلىَّ من نفســى ومــرة ثانية طوقنى بجميله الذى لا يمكن أن أنســاه. تكفل بتكاليف علاجى وكانت المفاجــأة أننى رزقت بتوأم. أنجبت ولدين أطلقت على أحدهما اســم أخــى. كم كانت فرحته ربما فاقت فرحتى وزوجى بهما. عام مضى لم أكد أشعر فيه بالسعادة بأمومتى حتى فاجئنى القــدر بلطمة أعادت إلىَّ الحيرة والأحزان. بعد أن علمت أن لا أمــل لأخى فى الإنجــاب. بنفس راضية اســتقبل أخى وزوجته الصدمة. أما أنا فشــعرت بانهيار والغريب أن أخى كان من يشــجعنى بكلمــات صبورة راضية بقضاء الله. بعد فــترة لاحظت كثرة تردد أخى علينا بشكل يفوق المعتاد ولاحظت أيضا أن اهتمامه بأحد الطفلين يفوق اهتمامه بالآخر. شــعور غريب بدأ يداهمنى وصدق ظنى عندما فاجئنى أخــى بطلب غريب أن يتــولى عنى هو وزوجته تربية أحد أبنائى ظننته يمــزح فى البداية إلا أن دموع اغرورقت فى عينيه وإحســاس بالضعف والانكســار بدا فى كلماته شــعرت معها أن الأمر جاد. لم أعرف كيف أرد على طلبه كنت أخشــى أن أجرحه أصدمه برفضى. أشــعر بجميله يطوقنى لكن يصعب علىَّ التفريط فى فلذة كبدى لا أعرف ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أقدر تماما إحساســك تجاه أخيك وأعرف أن شعورك يفوق أى أخت بأخيهــا ليــس فقط لأنكما تــوأم ولكن لأن الله وهبك أخــا بارا مضحيا

شـــهما متفانيا من أجل إســـعاد الآخرين وهى صفات قل من يتصف بها فى زمن موصوم بالأنانية والأثرة والجشـــع. لكنى فى نفس الوقت أدرك مشـــاعرك بقلب أم يصعب عليها بل يســـتحيل أن تفرط فى فلذة كبدها حتـــى لو كان لأخيها الـــذى يطوق جميله عنقها. أعـــرف أن التضحية تكـــون بالمال بالجهد أو حتى بالنفس لكن بفلذة الكبد فهذا مســـتحيل. أعتقد أن أخيك تولدت فى نفسه هذه الفكرة فى لحظة يأس غاب فيها العقـــل وبقليل من الحكمة يمكنـــك أن تنبهيه أن طفليك هما طفليه وأنه أب ثان لهما لكن من الخطأ أن نحرم أمًا من ابنها أو أخا من شـــقيقه. ذكريه بكيف كان شعوره عندما كانت الأقدار تأخذكما بعيدا عن الآخر. أعتقـــد أن إقناعه فى العدول عـــن فكرته لن يكون بالأمر الصعب خاصة وأن شـــخصيته تجنح إلى الرضا والإيمان. يمكنك أيضا أن تقترحى عليه إكفال يتيم وبذلك سيكون ثوابه مضاعفا ويضمن رضا الله ورسوله.

المدمن

أحيانا نتسبب فى إيذاء من نحب دون أن ندرى. ندفعهم إلى حافة الهاوية ثم نقف عاجزين عن أن نمد لهم طوق النجاة. كلما نظرت إلى ابنى ينتابنى هذا الشعور بالذنب. أدرك كم كنت مخطئا فى حقه أفسدته بتدليلى فضاع وضعت معه.لم أكن أتصور أن يصل به الحال إلى ما وصل إليه الآن كم أتعذب وأنا أرى وجهه الشاحب وعينه التى فقدت بريق الحياة كلماته المتلعثمة، شروده الدائم، الذى لا يفيق منه إلا على نوبات هياج وعصبية يحطم فيها كل شىء. أشعر به وهو يتسلل إلى غرفتى يفتش فى خزانة ملابسى ليأخذ ما تصل إليه يده من نقود.ينفقها على المخدرات التى أدمنها. نعم ابنى أصبح مدمنا للمخدرات. أقف الآن عاجزا عن إنقاذه. شعورى بالعجز يضاعفه، أعترف أننى المسئول؛ بالغت فى تدليله.لم ألتفت لتحذير من حولى على رغم اقتناعى بكلماتهم.كنت أضعف من أن أرفض له طلبا أو أوجه له لوما أو كلمة توبيخ لم أصفعه يوما على وجهه ليعود إليه رشده مهما بلغت تجاوزاته. تغاضيت عن كل أخطائه بدءا من أول سيجارة وحتى أول مرة تعاطى المخدرات فيها. لم أعنفه حتى عندما أهمل دراسته أو على تعثره الدائم فيها لدرجة أنه حصل على مؤهل متوسط بعد سنوات لا حصر لها من الرسوب. بعدها تم تعيينه كمشرف فى إحدى المدارس وسرعان ما تم فصله لسوء سلوكه.هكذا انتهى به الحال، عاطل

ومدمن.لا أخلى عن نفسى مسئولية ما وصل إليه. أعترف أننى أجرمت فى حق ابنى لكنى كنت أيضا ضحية ظروف قاسية لا ترحم. سنوات من الحزن غلفت حياتى لتسجننى فى بحر من الآلام. بدأت بوفاة زوجتى بعد أقل من عام على زواجنا.بعد عام من وفاتها تزوجت من أخرى وأنجبت منها ابنى الوحيد ولم تكتمل فرحتى فقد ماتت زوجتى الثانية وهى تضع لى طفلى الجميل ومرة أخرى أجد نفسى وحيدا حزينا وفوق كل ذلك طفل أنا مسئول عنه لا أدرى كيف أدير له شئون حياته. وللمرة الثالثة أجدنى مضطرا للزواج أملا فى أن أجد أما بديلة لابنى لكنها لم تكن كذلك فطلقتها ونذرت عمرى لابنى لكن القدر قادنى لزوجتى الرابعة كانت نعم الزوجة. جمعتنا أشياء كثيرة أهمها رغبتنا فى تربية أبنائنا معا وحاجة كل منا للآخر ليقوم بدورالطرف المفقود فى حياة أولاده فقد كنت فى حاجة لأم لابنى وكانت هى فى حاجة لأب لولديها.تزوجنا وحاول كل طرف فينا أن يحقق أمل الطرف الآخر فيه أما هى فنجحت لكننى فشلت. سنوات مضت كانت خير أم للأطفال لكننى لم أكن خير أب كنت أبالغ فى تدليل ابنى لم أكن أتحمل أن توبخه مثلما تفعل مع أطفالها ولهذا السبب اشتعلت الخلافات بيننا حسمتها هى بحكمتها بأن وعدتنى ألا تتدخل فى تربية ابنى على أن أتحمل وحدى النتيجة وبالفعل وفت بوعدها الذى لم أنتبه أنه كان أقرب للتحذير لم أدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان. أفسد تدليلى الزائد ابنى حتى وصل به الحال أن أصبح مدمنا أما طفليها فتخرج أحدهما من كلية الهندسة والآخر من الطب. كم كنت أتمنى أن يصبح ولدى

مثلهما أشعر بالأسى على ما انتهى إليه مصيره ولا أدرى كيف أعيده إلى الطريق بعد أن جرفه الإدمان؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

فـى تجربتك عظة لنـا أكثر ما فيها من شـكوى. عظة لكل أب وأم يبالغـون فى تدليل أبنائهم أكثر من الحد المطلوب لسـلامة تربيتهم هو رسـالة تحذير لهم جميعا. تماما مثل كلمـات التحذير التى تلقيتها من زوجتك لكنها لم تجد صدى فى نفسـك فآثرت الطريق السهل لا أعفيك من المسئولية التى لم تعف أنت نفسك منها صحيح أننى أقدر أن حياتك امتلأت بالتجارب المريرة القاسـية إلا أنهـا لا تبرر إهمالك لابنك أقول إهمـال لأن التدليـل المفرط فى نظـرى نوع من الاستسـهال أما التربية السليمة فتحتاج لجهد وصبر ودأب كبير لغرس القيم والمبادىء فى نفوس الأولاد لتصبح فيما بعد سـلاحا يواجهون به مفاسـد الحياة. أعتقد أنه ليس أمامك سوى البحث عن مصحة لعلاج ابنك من الإدمان لتبدأ بعدها رحلة طويلة لإعادة تأهيله إنسانيا وتربويا. الأمر بالطبع لن يكون سهلا ويحتـاج منك لجهد خارق وحزم وحكمة فتحمل ربما كان ذلك تعويضا عن سنوات إهمالك لابنك عسى أن يوفقك الله فى النهاية.

○○○

ثمن الغربة

أحيانـا يدفع ثمن أخطـاء ارتكبها الآباء وللأسـف يكون خصما من سعادتهم وراحة بالهم. لم ندرك ونحن صغارا حجم الخطأ الذى وقع فيه والدانـا عندما ارتضيا أن تكـون حياتهما على هذه الصورة. أب مغترب قضى عمره كله فى العمل بإحدى الدول الإفريقية. لم تكن الحياة هناك مناسـبة لإقامتنا معه خاصة بعدما التحقنا بالمدراس أو هكذا بررت أمى ذلـك الوضع الغريب الذى فتحنا عيوننا عليه. على رغم حبى الشـديد لأبى إلا أنه لم يشـكل يوما جزءا مهما فـى حياتى. كان على الهامش يزورنا كالضيف فـى العطلات الصيفية. كنا نتعجب عندما يتدخل فى شئوننا أو يبدى ملاحظة على تصرفاتنا على رغم أنه لم يكن يفعل ذلك بطريقة حادة أو قاسـية أو حتى جارحة لكـن كلماته لم تكن تؤثر فينا وكأننا تعودنا ألا نتلقى أية نصائح إلا من والدتنا لم نكن نستوعب تدخله فى تربيتنا عندما يظهر فجأة وربما كنا ندرك أنه سـيختفى فجأة مثلما ظهر ووقتها نسـتطيع أن نضرب بكل نصائحـه عرض الحائط أو هكذا دفعتنـا عقولنـا الصغيرة فى التعامل مع ما كنا نـراه ثقيلا من تعليمات أبـى. كبرنا على هذا الحال. لم يكف أبـى عن الهجرة ولم تحتج أمى أو تحثه على العودة. أما نحن فاعتدنا غيابه بل واستمتعنا بذلك خاصة بعدمـا كنا نلاحظ ضيق أصدقائنا من شـدة وحزم آبائهم لم ندرك وقتها أنهمـا ضروريـان وإلا أفلت زمام الأولاد. وهـذا ما حدث لأخى كانت

البداية إهمال واضح فى دراسته وانتهت بانقطاعه نهائيا عنها. تعرف إلى أصدقاء زينوا له طريق الفساد فانجرف معهم. عجزت أمى عن ردعه وخشيت أن تخبر أبى تعاملت مع تصرفات أخى على أنها مجرد «طيش مراهقة» وسرعان ما يعود لرشده لكنه لم يعد، ضاع أخى وترك لنا البيت ولم نعد نراه إلا كل فترة عندما يأتى طالبا مالا من أمى. كانت تعترض فى البداية لكنها تستجيب له فى النهاية بعدما يزداد عنفه وتطاوله. بعدها يتركنا ويرحل بينما تبكى أمى وإن جاءت دموعها بعد فوات الأوان. خاصة بعدما قررت أن تخبر أبى إلا أنه لم يفعل هو الآخر شيئا ليس سلبية منه لكن لأنه لم يعد له وجود ليس فى حياتنا فقط بل فى دنيانا كلها. مات أبى غريبا كما عاش غريبا. وبعد رحيله توالت إخفاقاتنا لم يكن مصيرى وأختى أفضل كثيرا من مصير أخى وإن اختلفت التفاصيل. تزوجت أختى من شاب أحبها بقوة لكن مشاعرها الجامدة جعلتها تكرر ما فعلته أمى دفعت زوجها للهجرة ولم تكترث برغبته وإلحاحه المستمر لها بمصاحبتها فى غربته ولما يئس اضطر للزواج من أخرى وهنا ثارت أختى وصممت على طلب الطلاق.أما أنا فكنت على النقيض تماما تمسكت بزوجى بقوة لدرجة بدت للجميع مبالغا فيها. كنت أراه كل دنيای، لا أريد أن يفارقنى أبدا ولم أسمح حتى لصداقاته أن تشغل جزءا من وقته كنت أرى أنى الأحق به. لكن يبدو أن ما فعلته كان خطأ كبير فأصبح زوجى يبدى ضيقا شديدا من كل تصرفاتى يعاملنى بجفاء أشعر أنه يفتعل المشاجرات باتت سمة واضحة فى علاقاتنا لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أحيانـا يكون حرصنا علـى تجنب أخطاء معينة سـببا فى ارتكابنا لأخرى بدون قصد. وهذا ما حدث لك. حاولت قدر اسـتطاعتك تجنب المشـاكل التى سـببها لك غياب والـدك إلا أن مبالغتك جاءت بنتيجة عكسـية. وبالطبع لك العذر فيما فعلتيه.أما المشـاكل التى وقعت فيها بسـبب ذلك فأعتقد أنه لم يفت بعـد أوان تداركها. وزمام الأمور مازال بيـدك فقط عليك أن تكونى أكثر عقلانية وحكمة وتحكما فى مشـاعرك امنحـى زوجك قدرا من الحرية حتى لا يصـل لتلك الحالة التى وصل إليها من الشـعور بالضيق. لا تجعلى من حبك طوقا يسجنه بل اجعليه مرفـأ أمان يجد فيه راحته وسـكونه. امنحيه قـدرا من الحرية يمنحك قدرا أكبر من السعادة.

○○○

رحيل الأحباب

آه.. صرخة مكتومة تنطلق من القلب الملتاع.. لم يعد قادرا على تحمل المزيد من الأحزان.. قدرى أن أبكى الأحباب وأودعهم وقدرهم ألا يودعونى.. قدرى البقاء وقدرهم الرحيل.. أتعجل أجلى الذى يبدو من فرط الانتظار بعيدا بينما جاءهم سريعا فرحلوا وتركونى للأحزان.. صغيرة كنت عندما بدأت صدمات الموت تتوالى.. زميلتى الجميلة ذات السنوات العشر بوجهها الملائكى وضفيرتها الطويلة الممتدة على ظهرها تزيدها رونقا وبهاء.. جمعتنا مرحلة دراسية وفرقتنا أخرى.. افتقدتها سألت عنها فجاءنى الخبر المفزع.. رحلت الجميلة، صدمتى برحيلها المفاجىء جعلنى أكذب ما سمعت. محاولة طفولية للهروب من المواجهة نجحت فى حينها لكنها لم تنجح بعدما تعددت الصدمات.. لم يتركنى شبح الموت ظل بقسوة فارضا ظلاله القاتمة على قلبى.. انقبضت بقوة وتفجرت الدموع من عينى عندما علمت بوفاته.. زميل أخى الذى كثيرا ما كان يتردد على منزلنا فكان بمثابة أخ لى.. ذهب إلى رأس البر ليقضى إجازة قصيرة لكنه لم يعد أغرقته دوامة بحر غادر.. وأغرقنى رحيله فى بحر من الأحزان.. أتذكر كيف كان طيبا حنونا كم كانت تحبه أمى وتعتبره واحدا من أبنائها.. لم أنس قط آخر مرة زارنا فيها قبل رحيله وكيف كان يطيل النظر فى كل منا بشكل أثار دهشتنا «وكأنه كان يودعنا» هكذا فسرت أمى.. لا أنسى تلك النظرة أبدا..

ولا أنسى شعورى بأننى أصبحت لعبة فى يد الموت وكأنه يتلذذ بشقائى بينما يخطف الأحباب واحدا تلو الآخر. أكاد أراه مبتسما ضاحكا بينما تخـور قـواى منهارة من فـرط الألم.. كم أكرهه وأتمنـاه وأتعجل لقاءه فى نفس الوقت.. حاولت مواجهته بتحدى اسـتقبلت عبوسـه بابتسام وبضحك هو أقرب للبكاء على شر البلية.. محاولة طفولية أخرى للهروب من الأحزان.. اعتقدت أنى نجحت بعدما أخذتنى الدنيا انطلقت أجرى ألهث وراء الأحلام والطموح والأمانى أستسـلم لها حتى أصبحت الدنيا مبلغ همى وتناسيت دعاء أبى الأقرب لقلبه «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنـا ولا مبلغ علمنا».. تنبهت فقط بعد رحيـل أبى حاولت أن أعمل لآخرتـى فربما يفاجئنى الموت مثلمـا فعل مع أبى.. وعلى رغم المفاجأة وعلـى رغـم الألم تصالحت مع المـوت فقد كان لموت أبـى بعدما أدى مناسك الحج وقع طيب فى النفوس فكان الجميع يهنؤننا بدلا من تقديم العـزاء «ليتنـا مثله هنيئا له بعدما غفر له الله ما تقدم من ذنبه» دفعتنى الكلمـات لمحاولة أن أكون مثله تقربـت إلى الله وتقبلت برضا قضائه.. إلا أن صدمتى بوفاة أمى أعادت إلى شـعورى الغاضب من الموت.. زاده خوفا من ذلك المجهول الذى ينتظرنا.. خوفا دفعنى أكثر كراهية للموت خاصـة بعدمـا دأب على أن يخطـف منى الأحباب.. زملاء الدراسـة والعمل عشرة العمر وذكريات جميلة جمعتنا حتى تلك الأحداث القاسية سرعان ما كانت تتوارى أمام قوة الصداقة والمواقف النبيلة التى يحملها كل منـا للآخر.. آه لماذا يتركنى الأحباب أتحمل وحدى آلام الفراق كم سئمت من الموت! لماذا يطاردنى يعاندنى يستعذب آلامى.. لماذا لا يدنو

منى فأستريح.. كثيرا ما يدفعنى هذا الشعور بألا أترك نفسى فريسة له.. فلأسرع أنا إليه مادامت خطواته بطيئة نحوى.. ليسامحنى الله فلقد سئمت الانتظار..

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

من منا لم يتعذب برحيل الأحباب.. من منا لم يتجرع كأس آلام الفراق.. من منا لم يبكِ حتى جفت الدموع من عينيه.. من منا لم يشعر يوما بأنه ميت وسط الأحياء بعدما رحل من كانوا بهجة للحياة.. من منا لم ينتابه شعور بأن المشاهد تتوالى أمامه بينما هو ينظر إليها بعيون ميتة وكأنه خارج المشهد والأحداث.. من منا لم يدعُ الله أن تكون نهايته قبل نهاية من يحب بعدما فقد قدرته على تحمل الآلام.. هذا هو قدرنا جميعا.. وليس أمامنا سوى التسلح بالصبر والإيمان والتسليم بقضاء الله حتى ننال رضاه فتهنأ أنفسنا بالطمأنينة التى نحن فى أمس الحاجة إليها لنتجاوز أحزاننا فى مواجهة الحق المكروه.. فلنتسلح بالإيمان فهو خير سلاح لمواجهة كل الآلام والأحزان.

صداقة

قليلة هى اللحظات التى نشـعر فيها بالسـعادة. تمر سريعا وإن كان عبقها يظل ساكنا فينا. نجتره عندما تضيق بنا الدنيا. كم أحتاج إلى تلك اللحظات الخاطفة لتقوينى على ما تحمله من آلام. أعود إلى ألبوم صورى. أتوقف عند صورتى بالجامعة. وجه مشرق ضاحك لا يحمل للدنيا همًّا. أتنقـل بين وجوه الأصدقـاء لا يختلف وجوههم كثيرا عنى. كنا واحدا. أحلامنا أفكارنا أفراحنا أغانينا وأهواؤنا وميولنا كلها كانت واحدة. كنا أشبه بصورة مكررة ربما لهذا السبب جاء تقاربنا. ليس صدفة لكنه القدر أراد لعلاقتنـا أن تكـون الواحة التى يجد كل منا فيها راحته. لم ندرك ذلك طوال سنوات الجامعة لكننا أدركناها فيما بعد عندما ظلت علاقتنا بنفس القوة. لم ينل منها منافسـة أو غيرة لم يعكر صفوها سـوء فهم أو سـوء تقدير. لم تقترب منها ظنون أو شـكوك. حتى خلافاتنا البسيطة وشعورنا أحيانا بالملل من كثرة تعودنا ولقاءاتنا كانت سرعان ما تختفى عندمـا نبتعد قليلا لنعود أقوى وأكثر اشـتياقا ولهفـة على اللقاء. هكذا كنا حتى بعد تخرجنا ظلت صداقتنا تحمينا من لطمات الدنيا. صمدت أمـام كل الظروف وإن غلبتها فى النهايـة هموم الحياة وتفاصيلها التى أخـذت كل منا بعيـدا عن الآخرين وإن ظل الأقـرب إلى قلبه. تزوجنا وأنجبنـا ولم نعد نلتقى إلا صدفة، دقائق محـدودة لكنها كانت كفيلة بأن تمنح كل منا قدرا من السـعادة تجعله أكثر قدرة على تحمل المشوار الصعـب. كم أنا بحاجة الآن لذلك القبـس من الأمل كم أنا بحاجة إلى

لمة الأصدقاء. أخذتنى الحياة بعيدا عنهم لسنوات طويلة سافرت فيها مع زوجى إلى أمريكا حيث كان يعمل. كم كنت أكره الغربة لم يعيننى على تحملها سوى زوجى الحنون. عوضنى قدر استطاعته عن غربتى بعيدا عن أهلى وأصدقائى وبلدى. لكنه لم يقدر على تعويضى عن أجمل وأهم ما افتقدته فى دنياى فلذة كبدى طفلتى الجميلة التى كانت كل حياتى وجاءتنى بعد سنوات من الحرمان. فقد كنت أعانى من مشاكل تعيقنى كثيرا عن الإنجاب وجاءت فرحتى بابنتى تعوضنى عن تلك الآلام لكن القدر استردها سريعا توقف قلبها العليل لم تجد محاولات أمهر الأطباء للتعامل مع حالتها التى وصفوها بالنادرة والميئوس منها. رحلت ومعها أخذت كل أملى فى الحياة لم أفق من صدمة رحيلها إلا على صدمة رحيل زوجى. لطمات متوالية جعلتنى أفقد أى رغبة فى الحياة. عدت إلى وطنى محملة بثقل الأحزان. حاولت أمى كثيرا التخفيف عنى. فشلت لم يكن أمامها سوى الاستعانة بالأصدقاء. طلبت من أختى البحث عنهم. واجتمع شملنا من جديد. لم نتوقف عند التغير الذى أصاب ملامحنا لكننا توقفنا كثيرا عند التغير الذى أصاب نفوسنا ومشاعرنا وأرواحنا. من فشل فى زواجه وانتهى بالانفصال عن زوجته ومن تعذبت من طباع زوجها الحادة ومن يشكو من غيرة زوجته المرضية ومن تعانى من تمرد وأنانية أولادها أو تعثر أحدهم فى الدراسة. حقا لم نعد كما كنا تغيرنا كثيرا شىء واحد فقط لم يصبه التغيير تلك العلاقة القوية التى جمعتنا وكان كل منا فى أمس الحاجة إليها. تعددت لقاءاتنا وإن كانت على فترات بعيدة لكنها كانت كفيلة بالتخفيف عنى قدرا ولو بسيطا من الآلام. لم يفسد ذلك الإحساس سوى شعور بالقلق بدأ ينتابنى

بعد أن لاحظت أحدهم يتقرب إلىَّ بشكل مبالغ فيه كنت أعرف ظروفه النفسية الصعبة بعد انفصاله عن زوجته وبعد أن تركت له مسئولية ابنته والتى كان يصطحبها معه وكم كانت جميلة أحببتها بقوة وشعرت أنها تذكرنى بابنتى.إلا أن ذلك الشعور لم يزدنى ارتباطا بأبيها وظل شعورى به مثل أى زميل أو صديق مقرب وهذا هو سبب حيرتى أخشى رفضه بعدما طلب منى الزواج فأخسره وأخسر دقائق تجمعنى بابنته التى تعودت عليها وارتبطت بها بقوة لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لست بحاجة لأذكرك الفرق بين الصداقة الحميمة والحب فلا شك أنك تقدرين الفرق جيدا بحكم تمتعك بهذه النعمة التى أنعم الله عليك بها وهى تلك الصحبة من الأصدقاء والصديقات. لذلك لن أضيف جديدا عندما أنبهك أن ما يربطك بزميلك مجرد صداقة زادتها ارتباطك الشديد بابنته التى دخلت حياتك فكان لوجودها تعويض نسبى عن فقدك لابنتك. لكن أعتقد أنه من الخطأ أن يكون تعلقك بها السبب الوحيد لارتباطك بوالدها فالزواج كما تعلمين جيدا علاقة معقدة تحتاج منا كثيرا من التفاهم والميول والطباع المشتركة. فإذا شعرت أنها متوفرة فى علاقتك بزميلك فالأمر لا يحتاج منك هذا التردد وإن كنت أنصحك بضرورة التريث حتى تتأكدى من حقيقة مشاعرك. والأمر كذلك محتاج منك قدرا كبيرا من الصراحة والوضوح ومكاشفة الذات حتى تتخذى القرار الأصوب والأنسب لك.

فوات الأوان

أحيانا تبتسم لنا الدنيا فتفتح لنا الأبواب الموصدة.. وأحيانا تقطب جبينها وتهوى بنا إلى هوة المصائر المحبطة. وبين هذا وذاك تتقاذفنا أمواجها فنضيع فى متاهاتها الغامضة وتتعثر خطانا ثم نستسلم لنريح أنفسنا فنترك الظروف تتحكم فى مصائرنا وتوجه خطانا حيث تريد. هكذا انتهيت ريشة فى مهب الريح لا أعرف إلى أين تأخذنى خطواتى وفى أى طريق أسير. ونهايتى هذه متناقضة تماما مع بداية كنت فيها أكثر قوة وتحديا وصلابة. لم يكن يثنينى عن هدفى أى عائق. حتى عندما أحببته زادنى حبه قوة لم أشعر معه أبدا بانكسار أو ضعف أو هزيمة تلك المشاعر التى عانت منها كثيرات ممن أعرفهن.. اللاتى فتحن قلوبهن للحب لكن عيونهن المغمضة أوقعتهن فيمن لا يستحقوهن فانتهت تجاربهن بصدمات نفسية تركت آثارها شروخا جرحت مشاعرهن ولم تلتئم أبدا.. كم أشفقت عليهن وكم حسدت نفسى على ذلك الشاب الذى ساقه القدر إلى.. لم يكن مجرد فارس لأحلامى لكنه كان أجمل ما فى دنياى..به اكتمل خيالى بالحقيقة.. وسيم أنيق ساحر جذاب وفوق ذلك شهم حنون ناجح فى عمله خدوم معطاء رجل بكل معانى الكلمة.. لم يكن غريبا أن أفتح له قلبى بسرعة وكم كنت محظوظة عندما بادلنى نفس الشعور. وكم كانت الدنيا سخية معى عندما فاتحنى برغبته بالزواج منى لا أعتقد أن أحدا وصل لهذه الدرجة من السعادة التى وصلت إليها. لم أدرك وقتها أن وصولى لقمتها

يعنى حتمية انزلاقى إلى هوة التعاسة، فهكذا طبيعة الدنيا.. تداعبنا بأحلامها فنلهث وراءها كأطفال بلهاء وما إن نمد أيدينا لنقبض عليها حتى تفاجئنا بأننا نلهث وراء سراب.. ربما يكون ما وصلت إليه هو قدرى ونصيبى فى الحياة. لكن ما يحزننى أن تلك التعاسة التى أعيش فيها الآن جاءتنى على يد أقرب الناس إلى.. من أمى التى تعاملت بجفاء مع الشاب الذى خفق له قلبى منذ اللحظة الأولى. لا أعرف ما الذى نفرها منه وجعلها لا ترحب به..كان كل شىء فيه يدعو للإعجاب ليس بشهادتى وحدى وإنما بشهادة أبى وإخوتى وكبار العائلة الذين حضروا اللقاءات الأولى. حاولت مناقشة أمى طلبت منها تفسيرا لرفضها لكنها ساقت مبررات لم تقنعنى.. لتدفعنى لمزيد من الضغط عليها لتعلن صراحة أنها ترى فى ذلك الشاب صورة أخرى من أبى الذى عاشت معه تجربة زواج فاشلة تريد أن تجنبنى إياها ويكفيها أنها ضحت بسعادتها رافضة الطلاق من أجلى.. صدمتنى أمى بكلماتها على الرغم من أننى كنت أشعر بنوع من الجفاء بينها وبين والدى وكنت أدرك أنها غير سعيدة معه إلا أننى لم أتخيل أن شعورها بالنفور منه لهذه الدرجة.. وبقدر ما أشفقت عليها أشفقت أيضا على أبى الذى كنت أحبه لدرجة أننى اخترت شابا أقرب لصورته وخصاله..وبالطبع لم تؤثر كلمات أمى فى علاقتى به بل على العكس ازددت تعلقا به.. ربما هذا ما دفع أمى إلى تعمد استفزازه لدرجة وصلت لحد إهانته وهو ما لم يتحمله فآثر الابتعاد وهو ما استغلته أمى للاتصال به معلنة رفضها الصريح له. فعلت ذلك دون علمى وبدون علم أبى. ولم أعلم بتفاصيل ذلك إلا بعد سنوات بعدما آثر خطيبى السفر فى محاولة للنسيان ولم تكتف أمى بذلك بل

اتصلت به بشـكل غير مباشـر لتخبره بخطوبتى التى لم تحدث إلا فى عقلها المتآمر..للأسـف صدقها واضطـر للمضى فى طريق آخر بعيدا عن أحلامنا التى رسمناها معا.. تزوج وأنجب بينما أنا ركزت على استكمال دراستى الجامعية وبعدها انخرطت فى العمل بكل طاقتى وتركيزى وهو ما دفع أمى للندم خاصة بعدما رفضت كل من تقدم لى.. حياتى الجافة الكئيبة أصابت أمى بالحزن وهى ترى خطوط التعاسـة تزداد يوما بعد يوم. لم أكن أشـعر بسـعادة إلا فى تلك اللحظات التـى أخلو فيها إلى نفسـى وألوذ بذكرياتى.. لم أنساه لكنه هو من نجح فى نسيانى.. هكذا اعتقـدت حتى فوجئت به أمامى فى الشـركة التى أعمل بها ظن أننى تزوجـت وفوجىء بالعكس حكى لى عما فعلتـه أمى واعترف بأنه غير سـعيد مع زوجته وأن ابنهما هو الرابط الوحيد بينهما طلب منى الزواج رفضـت طاردنـى بمكالماته تهربت تحايل بكل الطـرق عنفته وواصلت هروبى واسـتمر هو فى ضغوطه حتى شعرت بالضعف اقتربت من قبول عرضه حتى فاجئتنى زوجته بمكالمتها.. جاءنى صوتها حزين شـعرت مـن كلماتها كم هى تحبه وكم تتألم وهى تعرف أنه لم يحب سـواى.. أشـعر بالحيرة فسـعادتى مرهونة بشـقاء أخرى لا ذنب لها وسعادتها مرهونة بشقائى وشقائه بماذا تنصحينى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

مـا أقوله ليس نصيحة بقدر ما هو محاولة لقراءة ما يدور فى نفسـك وضميرك فرغم الحيرة التى تبدو فى كلماتك إلا أنها تعكس أيضا ما يدور فى نفسك من رفض للاستمرار فى تلك العلاقة أو هكذا أحسست..فربما

يكــون هو كل حياتك لكنك لم تعودى كذلك بعدما شــاركتك فيه زوجة وابن وســواء اعترف هو أم لم يعترف فهى الشــريكة على الأقل الرسمية لحياته ربما لم تنجح أن تصبح الشريكة الفعلية وربما كان لظهورك دور معوق فى ذلــك فلتمنحيها فرصة وامنحى لنفســك أيضا فرصة للتعرف إلى آخــر حاولى أن تفتحى قلبــك له ولا تقتصى من أمك بتعذيب ذاتك. فرفضــك الارتباط ما هو إلا محاولــة لتعذيبها ومعاقبتها عما ارتكبته فى حقك وأعترف أنها بلا شــك أخطأت لكــن لا ينبغى أن يكون هكذا رد فعلــك افتحــى قلبك للحياة وللحب وثقى أنك ســتجدين من يســتحق قلبــك ويصالحك على الدنيا مرة أخرى. أما الطريق الآخر فلن تجن منه ســوى العذاب وتأنيب الضمير. فتعاملى معه علــى اعتبار أنه جاء بعد فوات الأوان.

مهب الريح

قــدرى أن أدفع ثمن أخطــاء لم أرتكبها. أن يتحدد مصيرى بقرارات لم أشــارك فى اتخاذها. أن يرســم الآخرون خطوط مســتقبلى دون أن يخطر ببالهم حتى مجرد استشارتى. ألهذا الحد كنت سلبية؟! أعترف أننــى كنت كذلــك وإن لم أدرك وقتها قدر الضعف الــذى كانت عليه شخصيتى. كنت أتعامل مع قرارات أهلى كأنها أمر مسلم به. بيقين أن أحدا لن يحبنى أكثر منهم وأن أحدا لا يريد لى الخير أكثر مما يريدونه لى. وأن خبراتهــم وحكمتهم تتجاوز حدود عقلى وحكمتى فاستســلمت لرؤاهم وقراراتهم ورغباتهم وتركت زمام أمرى لهم. مخطئة كنت، لكننى للأســف لم أدرك ذلك إلا متأخرا وربمــا بعد فوات الأوان. قبل ذلك لم أكن أتوقف كثيرا عند انتقادات شقيقاتى الصغريات وصديقاتى وجاراتى ممن يروننى مثالا ممقوتا من الطاعة العمياء. كانت كلماتهم تحثنى على التمــرد أو على الأقل الاحتجاج أو حتى مجــرد التعبير عن الرأى بقوة لكننى للأسف لم أستجب لتضيع مع سلبيتى ملامح محددة لشخصيتى وأصبحت دمية مشوهة خطتها أيادى أبى وأمى وساهم أخى أيضا بدور كبــير فيها. كان على النقيض منى تماما. كانت له الكلمة العليا النافذة على كل أفراد أسرتنا كل آراؤه محل تقدير واحترام وكل رغباته مجابة دون مناقشــة أو اعــتراض. وكذلك قراراته. لا أعرف ما الســبب الذى جعلــه يحظى بهــذه المكانة على رغم أنه ليــس الأكبر. ربما لأنه الابن

الوحيد وسط مجموعة من البنات أو ربما لأنه الأقرب لوالدى وربما لقوة شخصيته التى اكتسبها من معاملة خاصة حظى بها دوما. على الأرجح كانت جملة الأسباب جميعها وراء هذه المكانة لأخى الذى حظى بتدليل مبالغ فيه كان من المتوقع أن يفسده لولا نجاحه الدراسى الذى حماه من فشـل فى الحياة العملية وإن لم يجنبه إخفاقا على المسـتوى الإنسانى. بفضل صفاته الذميمة التى اكتسبها من ذلك التدليل المفسد. كان متعاليا مغرورا غليظ الطباع يمارس غطرسته على الجميع وأولهم أنا. فرض على وصايته الكريهـة وأخذ يتحكم فى كل تفاصيل حياتى بدءا من إرغامى علـى الالتحاق بالقسـم الأدبى علـى عكس ما كنت أرغـب فيه مرورا باختيار كلية معينة قرر إلحاقى بها وانتهاء برفضه لشـاب جمعتنى به مشاعر حب جميلة انتهت بمأساة طرده بشكل غير لائق بكلمات غليظة من أخى. الذى وصل تعنته عدم إعطائى فرصة حتى لمجرد الحزن عما أصاب قلبى من انكسـار فأسـرع بقرار خطبتى من شـقيق زوجته الذى كثـيرا ما ألمح إلى رغبته فى الزواج منى وكانت أسـرتى تؤجل الموضوع لحين انتهائى من الدراسـة. والحق لم أكن أشـعر بنفـور منه فقد كان هادئـا حنونا متواضعا على نقيض أخى وكذلك كانت أخته زوجة أخى لا تختلف عنه كثيرا كانت تتحلى بصفات جميلة حظيت بحبنا جميعا لدرجـة أننا كنا نتعجب كيف لهذا الملاك أن يتحمل رجلا حاد الطباع كأخى. كانت تبتسـم بهدوء على تهكمنا وترد بأنه «النصيب» وأعترف أنها لعبت دورا كبيرا فى تقريبى من شقيقها فتعاملت معه بنفس المنطق الذى تعاملت هى مع شـقيقى. فاعتبرته «قدرى» وبالحظ من تضحك له

أقداره. عوضنى خطيبى الذى صار زوجى فيما بعد عن سنوات القسوة والشقاء التى تجرعتها على يد أخى المستبد. أصبحت مع زوجى أشعر بحريتى وبسعادة حرمت منها كثيرا. لكنها لم تدم طويلا بعدما عاد أخى ليتدخل فى حياتى مرة أخرى ويقلبها رأسا على عقب. حدث ذلك بعد سلسلة من الخلافات بينه وبين زوجته طلبت بعدها الطلاق بعد أن فقدت كل قدرتها على تحمله. كنت بالطبع ألتمس لها العذر بل وأرى أن ما فعلته هو عين الصواب فأخى من الصعب أن يتحمله أحد. كنت أرى أنها تستحق من هو أفضل منه وإن كنت لم أصرح بذلك أبدا لها. لم يكتف أخى بتدمير بيته لكنه أراد أن أتجرع فشلا مماثلا وكذلك زوجى. أراد أن يهدم المعبد على كل من فيه فأخذ يحرضنى على طلب الطلاق من زوجى ويدفعنى لكراهيته. الغريب أن والدىّ كانا يرقبان محاولاته بصمت مستفز. أشعر بالعجز لا أستطيع الوقوف فى وجه أخى وفى نفس الوقت أشعر بالخطر على حياتى الزوجية مع الإنسان الذى منحنى السعادة. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

كم أشفق عليك ليس بسبب الأزمة التى تمرين بها وإنما بسبب هذه الحالة من السلبية والضعف التى تعودت عليها. لا أستطيع أن أمنع نفسى من الغضب منك بعدما تركت حياتك تحت رحمة أهواء ورغبات الآخرين حتى لو كانوا أهلك. لا أقتنع أن حبك لوالديك كان السبب وراء ذلك فكلنا نحب والدينا وأشقاءنا إلا أن ذلك لم يمنعنا من أن نتمسك بحقنا فى الاختيار وألا نترك أنفسنا فى مهب ريح يفتعلها آخرون

فلا شــك أن ذلك يعد أقصى حالات السلبية المرفوضة.عليك أن تتعلمى أن تكونى نفســك وأن تعتزى بشخصيتك. قفى بحزم أمام تعنت شقيقك واســتمدى من حبــك لزوجك قوة تعينك على ذلــك. دافعى عن حياتك وثقى أن بداخل كل إنســان قــدر من العزيمة والقوة لا يســتهان بها، فقط عليه اكتشــافها وتوظيفها، وقتها يدرك صورة جديدة لنفسه سيراها أفضل كثيرا مما كان يبدو عليها.

الزوجة اللصة

ترددت كثيرا قبل أن أتجرأ بالكتابة عن مشـكلتى ليقين أن الشكوى ليست من شـيم الرجال. على هذه القناعة تربيت. لقنتنى إياها نصائح أمى وتعاليم أبى. منذ صغرى عودانى أن أواجه مشـاكلى بنفسى. أعمل عقلـى حتـى يهدينى إلى الحـل الأصوب. وكان علـىّ بعد ذلك تحمل نتيجـة قـرارى إذا تبين لى لاحقا أنه لم يكـن كذلك. هكذا تعاملت مع كل مشـاكلى مهمـا بدت ثقيلة معقدة إلا أنهـا لا تقارن بما عليه الآن. مأسـاتى التى أعيشـها أصابتنى بالعجز عن التفكير. وهو ما شـجعنى علـى الكتابة عنها. بدأت مشـكلتى بعدما تعرفـت إلى تلك الفتاة التى أتقنت لعبة البراءة طوال فترة الخطوبة. بدت هادئة قنوعة مطيعة حتى أوقعتنى فى فخ الزواج لأكتشف مع سنواته الأولى وجها آخر.

فبدت عصبية جحودة جشعة للمال. كانت تريد أن تجردنى من كل ما أمتلكه من مال ليؤول إليها. كانت تريد أن أكتب الشقة التى كلفتنى سـنوات طويلة من الغربة وأخرى من الكفاح والجهد والتعب فى بلدى لتأثيثها بعدما حملنى أهلها العبء الأكبر فى ذلك. لم يسـاورنى وقتها أى شـك ولم أبخل بما كنت أراه فى اسـتطاعتى فعله بكل رضا وحب. لم أمانع حتى عندما أصروا على كتابة «قايمة» تضمنت كل ما اشـتريته من أثاث. كنت أرى أن ما يفعلونه هدفه ضمان مسـتقبل ابنتهما بعدما كثرت المشـكلات الزوجية وللأسـف كانت عائلـة زوجتى ممن عانت

كثـيرا من هذه المشـاكل. كنت أراهم ضحية. حتى اكتشـفت أننى من وقع ضحية لهذه العائلة. حدث ذلك بعدما مررت بأزمة صحية شـديدة شـعرت معها أننى على وشـك الموت. غرقت فى دوامة الخوف وكنت أظن أن زوجتى تشـاركنى هذا الخوف علـى حياتى لذلك لم أتردد فى الاسـتجابة لطلبها الذى أجادت تقديمه بكلمات ناعمة لتنجح بسهولة فىإقناعى بكتابة توكيل لها تستطيع بموجبه سحب ما يتطلبه علاجى من مال. واستجبت وشاء الله أن تمر أزمتى الصحية على خير وتماثلت للشـفاء لأفاجأ بعد ذلك أنها كتبت الشقة باسمها وحولت كذلك جميع مدخراتى لحسـابها حتىالسيارة آلت إليها ولم تكتف بالسيارة الفخمة التى كنت قد اشتريتها لها. فاجأتنى الصدمة. واجهت زوجتى فبررت مـا فعلتـه بخوفها أن تحرم بناتها مـن ثروة أبيهم إذا مـا قدر الله له الرحيل وحتى لا يشـاركهن أهلى فى ثـروة تراهن أحق بها. على رغم غضبى مما فعلته وعلى رغم ثورتى عليها حاولت أن أتماسـك بعد ذلك وأطالبها بهدوء أن تعيد الأمور كما كانت عليها وترد ما اسـتولت عليه مـن مال وخلافه، ووعدتنى بذلك لكنها لم تنفـذ. طالبتها مرارا ودبت الخلافـات بيننا لكنها ظلت على عنادها مبررة ذلك بخوفها على حياة بناتها. أشعر بالعجز ولا أدرى كيف أسترد أموالى منها؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

مأسـاة أن يقع الإنسـان ضحيـة لأقرب الناس إليه، شـريك حياته المفترض أن يكون عونا وسـندا ومرفأ للأمان. ابتلاك الله بزوجة جشـعة أعماها حب المال عن حبك وأغشاها الطمع فلم تر إلا مصلحتها وأضلتها

الأنانية فنسيت تعاليم الله واستباحت لنفسها ما هو ليس من حقها. فبئس الزوجة تلك الذى قادك حظك إلى الارتباط بها. لذلك لا أعتقد أن ما من وسيلة أجدى مع عقلها الشيطانى سوى الشدة والعنف فلا يفل الحديد إلا الحديد ولا يقهر الشياطين من أمثالها سوى أصحاب الإيمان القوى وأنت قوى بحقك فتمسك فى المطالبة به. واستعن بأهلك وواجه أهلها بما فعلته علهم ينجحون فى ردعها، و هددها بحرمانها من بناتها وكشف ما فعلته من جرائم فى حق أبيهم بعدما سرقت ماله بالنصب والتحايل والخديعة وثق أن ما ضاع حق وراءه مطالب عنيد فى التمسك به واسترداده. وأعتقد أن مشكلتك الحقيقية ستبدأ بعد استردادك لهذا الحق. لتجد نفسك متسائلا عن مدى ما سببته زوجتك من شرخ فى جدران الثقة والحب والعشرة بينكما وهل يمكنك بعد كل ما فعلته أن تأتمنها على حياتك أم أن الشرخ الذى أصاب علاقتكما جراء ما فعلته لن تستطيع ترميمه؟ أعتقد أنك وحدك من يمتلك الإجابة عنه ووحدك القادر على اتخاذ القرار الذى ستراه صوابا.

التجربة

صغـيرة كنت. حـادة كالسـيف. لا أرى سـوى الأبيض والأسـود لا أعـترف بالمنطقة الرماديـة. فقد كانت خارج حـدود رؤيتى. الخير فـى عينى خالص وكذلك الشـر. لم أدرك وقتهـا أن داخل كل منا قدر مـن الاثنين وأن غلبة أحدهما لا ينفى وجود الآخر. كانت كل الأخطاء عندى تسـتوجب المحاسـبة ألقى باللوم على كل نفس تستسلم لضعفها لم أقتنـع يوما بحجة الظروف أو الضغوط التى يسـوقها البعض لتبرير خطأ ما يرتكبه. كنت كذلك حتى بعدما حاولت إحدى قريباتى الأقرب سـنا وخبرة أن تنصحنى بأن أكون أكثر مرونة حاولت إقناعى أن آراءنا وأحكامنـا على الأمور يعتريهـا التبدل والتغير كلمـا تقدمنا فى العمر. وعندمـا لاحظت عدم اقتناعى همسـت قائلة «اللهم لا تدخلنا التجربة» رددت الكلمـات وراءها دون وعى. لكن يبدو أن أبواب السـماء لم تكن مفتوحة. وللأسف دخلت التجربة.

كانت حياتى قبلها تسير عادية هادئة. زوجة وأم تحرص كل الحرص على راحة أفراد أسـرتها. طلبات أولادها متابعة دروسـهم.كل تفاصيل حياتهـم كانت محل اهتمامى ورعايتى لم يكن هناك ما يشـغلنى عنهم وبالطبـع كان لزوجىنصيب كبير من اهتمامى. سـنوات مضت أخذتنى فيها دوامة الحياة لم أفكر خلالها هل أنا سـعيدة أم لا؟ كان إحساسـى بالرضـا يكفينى يدفعنـى لمواصلة العطاء بلا حـدود. لا أعرف ما الذى

جعلنى فجأة أتنبه لهذا السؤال الذى بدأ يطاردنى. ربما يكون السبب هو تجاوز الأولاد سنوات الطفولة واستقلالهم عنى كثيرا وربما بسبب انشغال زوجى بعمله لفترات طويلة وكثرة أسفاره التى يتطلبها عمله وربما يكون وراء ذلك الملل الذى بدأ يتسلل بقوة لحياتى التى بدت وكأنها يوم طويل معاد مكرر بكل تفاصيله ليس فيه جديد يشعرنى بأننى مازلت على قيد الحياة. ربما لهذه الأسباب كلها كنت أبحث عن شىء يعيد إحساسى بالحياة. كنت كذلك عندما جاءتنى مكالمة عن طريق الخطأ حاولت إنهاءها سريعا إلا أن الطرف الآخر أبى ذلك. قاومت شعورا غريبا دفعنى لاستكمال المكالمة وبعد جهد نجحت، إلا أن مكالماته لم تتوقف ومعها ضعفت مقاومتى لا أعرف كيف سمحت لنفسى بأن أبادله حديثا يمتد أحيانا للساعة. لم أكن أشعر وقتها بالذنب. وما إن أغلق سماعة الهاتف حتى ينتابنى هذا الإحساس المؤلم يزيده شعور رافض لنفسى. لست أنا هكذا أبدو أمام نفسى. أين سيفى الذى كنت أشهره فى وجه الخطأ؟ أين رأيى القاطع الحاسم الرافض لأى زلل «اللهم لا تدخلنا التجربة» تذكرت كلمات قريبتى تنبهت وحاولت المقاومة لكنى لم أفلح أحاول التماس الأعذار لنفسى مبررة علاقتى بالآخر أنها لا تخرج عن حدود الصداقة تمنحنى قدرا من السعادة تعيننى على مواجهة الحياة المملة أليس هذا من حقى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

تساؤلك يبدو لى استنكارى أكثر منه استفهامى ربما ليقينى أنك مدركة تماما لحجم الخطأ الذى ترتكبينه فى حق نفسك وزوجك وأولادك.

ودعينى أكون أكثر صراحة وأقول أن ما تفعلينه خيانة وشماعة الملل التى تعلقـين عليها خيانتك لا تقنعنى كثيرا وحتى لا أكون حادة كالسـيف مثلما كنت أنت أعود وأقول أن لكل منا لحظات ضعف لكن داخلنا أيضا قوة إرادة كفيلة بحمايتنا من الوقوع فى أى خطأ. نصيحتى أن تكفى عن هذه المكالمات ولا تستهينى بها فربما قادتك لأخطاء أكبر دون أن تدرى، وقتها لن يكفيك الندم. حكمى صوت عقلك وتمسـكى بمبادئك وأخلاقك التى تربيت عليهـا واعلمى أنه بإرادتنا يمكن ألا نخوض التجربة التى نعرف جيدا أننا لو دخلناها سنخرج منها خاسرين.

الجاحدة

مجنــون من يعطى فى هذه الدنيا بلا حســاب.. مــن يضحى بوقته وجهده وماله فى ســبيل آخر لا يستحق.. من يجد سعادته فى التفانى ولذته فى العطاء.. للأســف أنا ذلك المجنون الذى لم يبخل بمشــاعره ولم يدخر وسعا لتلبية كل طلبات من رآها يوما كل دنياه.. زوجتى تلك التى التقيت بها ولم تكن قد أكملت بعد دراستها الثانوية وعندما تقدمت لها كم كانت فرحتها أن تقترن بمهندس شــاب.. إلا أن فرحتها بدأت تتوارى ليحل محلها حزن بدأ يتســلل إليها ويظهر واضحا فى عينيها حاولت البحث عن أســباب ذلك التغير وفوجئت بها تنفجر فى وجهى كالبركان كلمات خرجت كالبركان تفضى كلها إلى معنى واحد أنها تشعر أنها تحولت إلى خادمة لا هم لها ســوى التنظيف وإعداد الطعام نبهتها أنها من اختارت وذكرتها كم شــجعتها على اســتكمال دراستها لكنها تكاســلت وأمام كلماتى الهادئة لم يكن أمامها ســوى الاعتراف بالخطأ مؤكدة على عزمها على تصحيحه.. تعهدت لها بالمســاعدة حتى تحقق كل أحلامهــا ووفيت بوعدى ضحيت بعمل إضافى واكتفيت بعملى فى إحدى الشــركات الحكومية على رغم ضآلة مرتبى منه.. اضطررت لبيع قطعة أرض كنت أمتلكها لتســاعدنى فى الإنفاق على احتياجات البيت ومتطلبــات زوجتى التى لم تكتف بالشــهادة الجامعية بل أصرت على استكمال دراســتها العليا حتى حصلت على الماجستير ثم الدكتوراة فى

العلوم الاجتماعية. كم كانت فرحتى بها يوم حصولها على هذه الدرجة العلمية التى طالما حلمت بها يوم مناقشة الرسالة كان قلبى يخفق بشدة كنت أتابعها بفخر وهى وسط أساتذتها وزملائها وكم كانت سعادتى بنجاحها سعادة لم يشبها سوى شعور خفى بدأ يتسلل إلىّ يومها عندما شعرت بها تتعمد تجاهلى وإن فسرت ذلك فى البداية بانشغالها لكنه كان إحساسا حقيقيا صادقا سرعان ما أثبتته الأيام القليلة التى أعقبت حصولها على الدكتوراة.. فتور عدم اهتمام.. تهرب.. وكأنها كانت تحاول تأجيل المواجهة.. لكننى آثرت التعجيل بها صارحتها بمشاعرى ولم تكن أقل صراحة منى بل على العكس فاقتها لتصل حد التجريح.. اتهمتنى بالكسل وبأننى إنسان غير طموح، شخص عادى ليس فيه ما يميزه عن الآخرين.. هكذا بدت صورتى أمامها وكأنها ترانى لأول مرة. أهكذا أبدو فى عينيها ولماذا لم تكتشف ذلك عندما كنت أضحى بوقتى وجهدى ومالى لمساعدتها فى تحقيق طموحها أتولى عنها مسئولية البيت وتربية الأولاد حتى تنتهى من رسالتها ليس هذا فقط بل قمت بكتابة رسالتها على الكمبيوتر تخفيفا عن العبء الملقى عليها كنت أفعل ذلك من أجلها حتى وصلت إلى ما هى عليه الآن أيكون ذلك جزائى. كم نبهتنى أمى إلى تلك النهاية كانت قد اكتشفت مبكرا جحود زوجتى وحذرتنى من تهاونى فى حق نفسى وأولادى لكنى لم أنتبه حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن. غرور وتعال وجحود أصابوها بالعمى ودفعوها إلى طريق مظلم.. طلبت الطلاق وأصرت عليه وحملت أطفالى وعاشت فى منزل أسرتها ومنعتنى من رؤيتهم مؤكدة أن حياتهم معها ستكون أفضل

حيث المكانة الاجتماعية والمستوى المادى الأفضل لا أدرى ماذا أفعل كى تسترد رشدها؟؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

لا أعتقد أن أحدا يمكن أن يعيدها إلى رشدها بعد أن تمكن منها الغرور والجحود بهذا الشكل الذى تحدثت عنه. لكن دعنى أصارحك بأنك تتحمل جزءا من مسئولية تلك النهاية التى وصلت إليها زوجتك.. ليست بسبب تفانيك ومساندتك لها وإنما بسبب إهمالك لنفسك وتغاضيك عن طموحك الذى توارى أمام طموحها ورغبتها فى النجاح.. فمن الخطأ أن يكون نجاح طرف على حساب طرف آخر فالحياة الزوجية مشاركة كل طرف عليه مساندة الآخر لينجحا معا ويتقدما معا..لا أعنى بكلامى أن تسعى للحصول على الدكتوراة كزوجتك ولكن ما أعنيه أن تهتم بعملك وتبحث عن عمل إضافى غير الذى ضحيت به من أجلها لتعوض تقصيرك فى حق نفسك.. عليك أن تسعى لتعويض ما فاتك ليس إرضاء لزوجتك ولكن إرضاء لنفسك.. أما عن أولادك فأتعجب كيف لصاحبة الدكتوراة فى العلوم الاجتماعية أن تحرم أولادها من رؤية والدهم وهى تعلم جيدا أن الانفصال أو حتى الطلاق لا يجب أن يكون على حساب الأولاد وأن التفاهم والود والاحترام يجب أن يكونوا أهم سمة للعلاقة بين الأب والأم حتى يستطيعوا تجاوز الآلام التى سببها لهم طلاق والديهم.. أعتقد أن الأمر فى حاجة إلى بعض الحزم من جانبك وعدم التنازل عن حقك فى رؤية أطفالك حتى لا تتمادى زوجتك فى فرض مزيد من السيطرة على حياتك المستقبلية..

الصدمة

لا أعتقد أن أحدا أحب أباه مثلما أحببت والدى. كنت أراه مثاليا رائعا متفتحا مثقفا عقلانيا وفوق كل ذلك حنون ذو قلب مرهف يشعر بكل من حوله يقرؤنا من عيوننا. كنت وإخوتى كالكتاب المفتوح أمامه. كان أول من يرصد فرحنا وأول من يلتقط آلامنا. تعودت منذ صغرى اللجوء إليه أحكى له كل تفاصيل حياتى. كان الأقرب إلى على رغم علاقتى الطيبة بأمى التى كنت أراها أعظم أم متفانية حنونة لا تدخر وسعا لإسعادنا. قلبها قبل بيتها مقصدا للجميع من الأهل والأصدقاء والجيران. على رغم كل ما تتمتع به من صفات رائعة إلا أن أبى كان الأقرب إلى وربما كنت أيضا الأقرب إليه عن بقية إخوتى. كنت أثق فى رجاحة عقله وحكمته ويعجبنى رأيه الذى يعكس خبرة وثقافة. كان واسع الصدر يستمع لى كصديق حميم وكان يمتلك قدرة كبيرة على الإقناع والتوجيه والنصح دون أن يشعرنى بذلك حتى عندما أرتكب خطأ ما أو أتصرف بعكس ما كان يتوقع منى لم يكن يلجأ أبدا للتوبيخ أو اللوم أو حتى عتاب كان أسلوبه رزينا هادئا يصل لهدفه دون ضجيج أو عصبية أو انفعال مبالغ فيه. كانت تكفى نظرة من عينه لأعرف كم أنا مخطئة. وقتها كنت أشعر بالخجل أريد أن تبتلعنى الأرض حتى أهرب من تلك النظرة ومع ذلك لم يكن يتوقف كثيرا عند كلمات الاعتذار لم تكن تشغله كثيرا كان كل همه أن يعلمنى ألا أفعل ما يسىء إلى يوما

أو يدفعنى إلى الخجل من نفسى. كان يريدنى واثقة قوية. وكنت أحاول جاهـدة أن أكون كما يريـد. وظل هو فى عينى كما كان دائما مثار فخر وإعجاب حتى ذلك اليوم الذى اكتشـفت فيه صورة أخرى لأبى مغايرة عن تلك المرسومة فى ذهنى. وللأسف جاء الاكتشاف متأخرا. قبل شهور قليلة من رحيله. بينما كنت منهارة بفعل صدمة مرضه يتمزق قلبى وأنا أراه يتألم ويفزعنى شـبح الموت الـذى بدا قريبا جدا منه. كنت بنصف عقـل ونصف وعى وحطام قلـب ولم أفق من حالتى تلك إلا على صدمة أقوى. عندما اعترف أبى لى أنه متزوج من أخرى وأنه أنجب طفلة منها أوصانـى أن أودها وأن أعطيها كل حقوقها لم تتوقف المفاجأة عند ذلك فقد علمت منه أيضا أنه تزوج من ثالثة إلا أنه طلقها بعد شـهور قليلة لطمعها وجشـعها. بعدما صدمنى رحل أبى قبل أن يجيبنى عن أسـئلة كثـيرة عذبتنى لماذا خان أمى هى لا تسـتحق منه ذلك كانت علاقتهما مثار حسـد للجميع ما الذى ارتكبته حتى يفعل ذلك؟ وكيف نجح فى خداعنـا كل تلك السـنوات الثـلاث التى تزوجها فيهـا كما أخبرنى؟ تذكرت غيابه الكثير بحجة العمل وسهره حتى فترات طويلة ليلا؟ لماذا أخفـى عنا لماذا خان أمى؟ ماتت الإجابات بعد رحيل من يمتلك وحده سـرها. صدمتى فى أبى جعلتنى أرفض الزواج لسنوات طويلة لكن بعد إلحاح وافقت على شاب رآه الجميع مناسبا ورأيته مقبولا لا أعرف كيف أقنعونـى به وكيف قبلت الزواج منه. وأعـترف أن زوجى يفعل ما فى وسـعه لإسعادى لكننى أفتقد تلك السعادة لا أشعر بها بل على العكس كثيرا ما أجد نفسـى أسيرة لدوامة من الحزن. ما فعله أبى جعلنى أفقد

الثقة فى الجميع فى نفسى وفى أهلى وبالطبع فى زوجى. أشعر أن يوما سيأتى لأكتشف فيه حقيقة غير تلك التى يبدو عليها. أكاد أصرخ فى وجهه بأن يكف عن الكذب وأن ينزع القناع عن نفسه لأرى حقيقته. تموت الصرخة داخلى وهو يقرؤها مرارا فى عينى. أعرف أنه تحملنى كثيرا لكنى عاجزة عن الخروج من دوامة الشك؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أقدر وقع الصدمة المؤلمة عليك والتى زادها بالطبع رحيل والدك قبل أن تواجهيه وتناقشيه مثلما كان يفعل دائما معك فربما لو حدث ذلك لخفف عنك قليلا. وقد تتفهمين موقفه أو تلتمسين له العذر أو حتى ترفضين مبرره أوتعلنى له عن غضبك وصدمتك. إلا أن الأمر لم يعد بيدك وليس أمامك سوى أن تطلبى له الرحمة تذكرى دائما أنه كان أبا حنونا معطاء. صحيح أنه أساء لنفسه ولوالدتك ولكن ليس لأنه تزوج من أخرى بل لأنه أخفى أمر زواجه فبدا على قدر كبير من الازدواجية نالت من تقديركم له وهزت من مكانته فى نفوسكم. وأعود وأقول إنه ليس أمامك سوى طلب الرحمة له وفى نفس الوقت عليك أن تنتبهى ولا تعاقبى زوجك بجريرة أبيك فليس ذنبه أن يدفع ثمنا لخطأ لم يرتكبه. لا تدعى صدمتك بوالدك تحول حياتك إلى جحيم. قدر من الثقة وأيضا قدر من التفاؤل ضروريان لاستمرار الحياة على رغم كل ما يواجهنا من صدمات فيها.

○○○

القدوة

سامح الله أبى. فهو السبب فيما وصلت إليه من ألم وحزن. ورغم ما ارتكبه فىحقى وحق إخوتى لا أملك سوى أن أدعو الله له بالهداية. هكذا حثنى دينى وربتنى أمى على طاعته واحترامه. ومع ذلك كثيرا ما أجد نفسى فى حيرة أتساءل هل يستحق والدى هذه المعاملة هل من واجبى أن أطيعه وأنا أرى أخطاءه تتزايد يوما بعد يوم.وندفع ثمنها نحن من كرامتنا وسمعتنا. كيف أطيعه وأحترمه وألتزم بتعاليم دينى تجاهه وهو لم يكن يوما لى قدوة بل كان أقرب لنقطة الضعف وسبب كل مشاكلى وأحزانى. فتحت عينى على خلافات وشجارات كان هو مفجرها ومشعل فتيلها. بين يوم وآخر يأتى إلينا أناس تجمعنا بهم إما صلة أوصداقة أو جيرة، زيارتهم الأولى دائما تأتى طيبة، ابتسامات ومجاملات وترحيب تتخللها وعود من أبى لم أدرك تفاصيلها إلا فيما بعد. فى زيارتهم الأخيرة والثائرة يكيلون فيها لأبى السباب والوعيد ينهالون علينا بالدعوات ألا يبارك لنا الله فى رزقنا لأنه رزق «حرام» صفعتنى الكلمة. حزنت انهرت أسرعت إلى أمى أحاول أن أعرف ما وراء اللعنات التى يقذفونها دائما فى وجوهنا. لكن دموعها كانت دائما تلجمنى وانكسارها يردعنى وآلامها ترجعنى فيموت السؤال داخلى وأموت معه ألف مرة. كبرت ولم يتغير حالنا. لكن أنا من أصابه التغيير. لم أعد أتحمل السخط واللعنات أريد أن أعرف الحقيقة لم يحل

حزن أمى وإنهيارها دون البحث عن تفسير لما يحدث لنا. بعد إلحاح عرفت. كان أبى يعد هؤلاء باستثمار أموالهم فى مشاريع غالبا ما تنتهى بالفشل فينهار معها حلمه بتوفير حياة أرغد لنا وينهار معها آمال من وثقوا فيه بعد أن خيب رجاءهم ويطالبونه برد أموالهم التى راحت فى مشاريعه الفاشلة وبالطبع يعجز هو عن ذلك ويطلب مهلة غالبا تنتهى قبل أن يتمكن من السداد. فيثير غضبهم وتشتعل ثورتهم والتى تصل بتهديد أبى إلى اللجوء للشرطة وهنا يضطر أبى لرد أموالهم من خلال آخرين يستدين منهم ويدخل معهم فى مشكلة أخرى عندما يطالبونه برد الدين فيعجز وتتكرر المأساة. لم يكف أبى عن ذلك على رغم المواقف المحرجة والصعبة والمخجلة بل والخطيرة أيضا. ولم تجد معه نصائح أمى وتحذيره من عواقب ما يفعله والتى ندفع ثمنها جميعا من سمعتنا وسيرتنا صارحته أن ما يفعله سيمنع أى شاب من التقدم لبناته للزواج. إلا أن نصائحها كانت تضيع سدى تكاد تصل بصعوبة إلى مسامعه لكنها لم تجد يوما مكانا لعقله أو حتى قلبه فيشفق علينا من مصير مؤلم ينتظرنا. كان حلم أبى بالثراء يعميه فلم يكف عن المغامرة التى لم يقدر لها النجاح. وبقدر ما كان إخفاقه يؤلمنى بقدر ما كنت أشفق عليه. كنت أشعر بضعفه وقلة حيلته وخيبة أمله. لكن إشفاقى تحول إلى غضب ونقمة عندما وقع ما كانت تخشاه أمى. تقدم لى شاب عشت حياتى كلها أحلم به، ناجح من أسرة طيبة فتحت قلبى له من اليوم الأول الذى التقيته على رغم ارتباطى به لما يقرب من عام إلا أننى لم أجرؤ أن أحكى له عن أبى كنت أتجنب الحديث عنه لم أدر أن يوما

سيأتى وتنكشف حقيقته المخجلة. لكنه أتى بأسرع مما توقعت بعد لقاءات قصيرة جمعت أسرتى بأسرة هذا الشاب عرفت أن والده سعى للسؤال عن أبى وأحواله فى مكان عمله وكانت سمعة أبى فى عمله لا تقل سوءا عنها بين جيرانه وأصدقائه. وكانت كفيلة بأن تدفع الشاب الذى أحببته وأسرته على أن يذهبا إلى غير رجعة.شعرت بقلبى يتمزق تواريت خجلا من عار لا أستطيع الفرار منه. ولم أدفع ثمنه وحدى بل دفعه أيضا إخوتى أصبحنا معزولين منبوذين لا نجرؤ على مجرد الحلم بالزواج وانحصرت أحلامنا فى كيفية أن نستعيد احترامنا وسط جيراننا وأهلنا ولا ندرى ما هو السبيل لذلك؟

لصاحبة هذه المشكلة أقول:

الطريق إلى جهنم مفروش بالنوايا الحسنة هذا ما ينطبق تماما على والدك فربما يكون هدفه مثل كل أب نبيل يريد أن يوفر حياة كريمة لأسرته لكنه يضل الطريق فتتحول أحلامه المشروعه إلى كوارث ومشاكل للأسف لم يجد من يردعه عن المضى فى ذلك الطريق الخاطىء. وهنا أجدنى مضطرة لتحميل والدتك جزءا من المسئولية ولا أتفهم كيف لم تتخذ موقفا صارما يوقفه عن ارتكاب هذه الأفعال أعتقد أن وقوفها بحزم وتهديده بالانفصال كان سيردعه لكنها لم تفعل وكانت النتيجة مزيدا من الكوارث.أو ربما كانت تفعل لكنها لم تنجح فى ردعه عموما كان الأمر يستحق منها موقفا أكثر قوة.ليس أمامك سوى مواجهة أبيك بكل ما سببه لك ولإخوتك من مشاكل ولست فى حاجة لتذكيرك بأهمية أن يتم ذلك بأسلوب لا يتجاوز حدود اللياقة. أشعريه بأنه يتسبب

فى تعاســتكم فى الوقت الذى يعتقد فيه بأنه يعمل على ســعادتكم وان حاجتكم إلى سمعته الطيبة تفوق حاجتكم للمال والثروة أعتقد أن كلماتك ســتصل إلى قلب أبيك إذا ما خرجت مخلصة صادقة من قلبك وسيدرك معهــا حجم الجرم الذى ارتكبه فى حقكــم وربما تكون البداية لإصلاح حاله وكفه عن مشاريعه الوهمية.

بعد الخمسين

أعــرف أن مشــكلتى لــن تحظى بتعاطــف كبير ممــن يقرؤها. وهو ما جعلنــى أتــردد كثيرا فــى البوح بهــا. لكننى لم أعــد أحتمل ذلك الإحســاس بالحيرة والتخبط والتردد. أشــعر أننــى أصبحت غريبة عن نفســى. أفكر فيما عزفت كثيرا عن التفكير فيه.أفتقد ما عودت نفســى طوال سنوات الاستغناء عنه. أحلم بما حرمت خيالى السباحة فيه. كيف دق قلبى بالحب بعدما أيقنت أنه مات من سنوات. سكنت خفقاته بعد رحيل أول من طرق بابه فأصبح أســيرا له كما أصبحت أسيرة فى قلبه. ســنوات مرت كلمح البصر. ســعادتنا كانت مثار حسد الجميع. لم نكن كأى زوجين بل عشنا كعشيقين. لم تدفعنا يوما تفاصيل الحياة ومشاكلها وكم الصعوبات التى واجهناها إلى ذلك الشــعور بالملل أو الضيق. كانت لدينا قدرة كبيرة على اجتياز كل العقبات بنعمة التفاهم التى منحنا الله إياها. حتى بعد ما أنجبنا طفلينا لم يتغير حالنا. لم يشغلنى أبنائى عنه كما لم يشــغله عمله وســعيه الدائم للتميز والتفوق فيه عنى. وكأن القدر أراد ألا تفرقنا مجرد لحظات يدب فيها شــجار أو خلاف أو حتى سوء تفاهــم. أراد القدر ذلك حتى يعوضنا عن تلك النهاية المؤلمة التى جاءت فجــأة وبدون أية مقدمات. رحل زوجى وتركنى أســيرة لذكرياتى معه. لم يعوضنى عن ذلك الإحساس بالألم والفقد والوحدة سوى أبنائى أجمل ما ترك لى فوهبت حياتى لهما. كنت لهما الأب والأم والصديق. رفضت

إلحـــاح الجميع لدفعى للزواج. كمـــا رفضت أيضا نصيحتهم لى بالبحث عـــن عمل ليس بهـــدف تدبير أمـــورى المادية فأنا والحمد لله ميســـورة بفضل ما تركه زوجى من مال إضافى إلى ميراثى من والدى. كنت أدرك أن رغبتهم فى دفعى للعمل هدفها مســـاعدتى على الخروج من شـــرنقة الأحـــزان التى أصبحت ســـجينة فيها وإن كنـــت لا أرغب فى الخروج منهـــا. رفضت حتى لا أهدر ســـاعات أرى أن أولادى الأحق بها. ربما ندمـــت بعد ذلك أو بمعنى آخر لو كنت اســـتجبت لهم ما وصلت لهذه النهايـــة التى أندم عليهـــا لكنى لم أكن أعرف الغيب. كيف لى أن أتنبأ بزلزال قادم يعصف بحياتى ويقلبها رأســـا على عقب. كيف أتخيل ما حدث بعدما عشـــت عمرى كله راهبة فى محراب حبى لزوجى وأسيرة لرعاية أبنائى، لم أشـــعر طوالها أننى أفعل شـــيئا ثقيلا على نفســـى أو أننى أضحى بسعادتى من أجلهم، على العكس كنت أرى ما أقوم به هو الطبيعـــى قبل أن يكون الواجب. كيف ومتى تغير حالى هل حدث ذلك بعدما كبر الأولاد وأصبحت لكل منهما حياته الخاصة. تخرجا وألتحقا بالعمـــل والإجازات القصيرة غالبا ما يقضونها إما بصحبة خطيباتهما أو بصحبـــة الأصدقاء. لم يؤرقنى ذلك كنت أتعامل مع ما يحدث على أنه ســـنة الحياة. كنت أكتفى بدقائق هى كل ما يجودا به على ولم أشـــعر يوما بضيق أو بوحدة أو حاجة إلى آخر. كان ذلك قبل أن يظهر هو فى حياتى. كالطيف مر ســـريعا أمامى فى النادى الذى لم أجد غيره مكانا أشـــغل فيه قدرا من وقتى الطويل الممل. لا أعرف ما الذى جذبنى إليه وجذبه إلى بعدما تعارفنا تكفلت بذلك صدفة جمعتنا بأصدقاء مشـــتركين

لـكل منـا. لا أعرف ما الذى شـدنى إليه وشـده إلى ربمـا حدث ذلك بسبب ظروفنا المتشابهة أرملة وأرمل. أم انشغل عنها أبناؤها وأب يفتقد لاهتمـام أولاده. رجل فى حاجة لامرأة تؤنس وحدته وامرأة فى حاجة لرجل يحتويها. هكذا قدر لنا أن نلتقى ويجد كل منا فى الآخر سـلوى لوحدته وواحة الراحة بعد سـنوات من التعـب والعناء. على رغم ذلك مازلت أشعر بالدهشة من نفسى كيف قبلت فكرة الزواج منه كيف فعلت ذلك بينما رفضت مجرد التفكير فيها لسـنوات طويلة كنت فيها أصغر وأجمـل. كنت أرفض أى محاولة تقوم بها أسـرتى لدفعى للزواج كنت أتهـرب من أى فرصة يختلقونها لتعريفى بآخر يرونه مناسـبا لى. أيضا رفضت إلحاح شـقيق زوجى المسـتمر للزواج منى. فضلت ألا يشاركنى أحـد حياتى التى نذرتها لأولادى فهـم الأجدر بكل لحظة فيها. هكذا عشـت عمرى كله فماذا حدث لى وقد تخطيت الخمسـين. ها أنذا أقبل ما كنت دوما أرفضه والغريب أننى وجدت فى نفسى قدرا من الشجاعة لمصارحة الجميع برغبتى فـى الزواج وبالطبع كان الرفض هو رد الفعل من الجميع وفى مقدمتهم أبنائى. هل هى أنانية منهم أم أنا من أصابته هذه الصفة فجأة؟! حقيقة أنا فى حيرة من أمرى.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لا أرى أن أمـا وزوجة وفيـة مثلك يمكن أن تلتصق بها صفة الأنانية فلـو كنت كذلـك لقبلت الزواج بعد رحيل زوجـك لكنك آثرت تكريس كل اهتمامـك وحبك وحياتك لأبنائك. أما التغير الذى طرأ على حياتك فيبـدو طبيعيـا بعدما شـب الصغار عـن الطوق وأصبحت لـكل منهم

حياته الخاصة. هنا فقط شـعرت بالوحدة ونجح الآخر فى إنقاذك منها كما كنت أنت المنقذة له من ذلك الشعور. وطبيعى أن يجد كل منكما فى الآخر العزاء والسلوى. لكن طبيعى أيضا أن يرفض الأبناء زواجك. ليس فقط بسـبب تلك الأنانية التى يتسـم بها جميع الأبناء فى تعاملهم مع والديهم ورغبتهم الدائمة فى الاستئثار بكل اهتمامهم لكنك أيضا ساهمت فى موقفهم هذا بعدما تعودوا منك التفانى والعطاء إلى حد إنكار الذات. ليس أمامك سوى محاولة إقناعهم أما إذا رفضوا فأعتقد أن ابتعادك عن ذلك الشـخص لن يكون بالأمر الصعـب خاصة إذا ما وهبك الله أحفادا سيكون لوجودهم أثر كبير فى نفسك وشغل وقتك واهتمامك.

دموع أم

فى حياة كل منا لحظات سعادة يقتنصها فى غفلة من زمن ضنين لا يجود إلا بالحزن. عشت تلك اللحظات عندما رزقنى الله به. رأيته بقلبى قبل أن تحتضنه عيناى. سكن بجوار فؤادى تسعة أشهر بعدها سكن فى حضنى صغيرا حتى شب عن الطوق ودخل مرحلة الشباب. كبر طفلى فصار رجلا هو الأطيب والأرق والأكثر حنانا فى نظرى. لم يتغير كثيرا عما كان عليه طفلا صفاته الجميلة جعلته الأقرب إلى قلبى. هادئا كان دائما مطيعا لا أذكر أننى عنفته يوما على خطأ ارتكبه أو على حماقة انزلق إليها كتلك الحماقات التى ينزلق إليها من هم فى سن المراهقة. حتى لحظات شططه وتمرده وضيقه وتبرمه سرعان ما تمر سريعا يرجع بعدها لهدوئه معتذرا عما بدر منه على الرغم من أن كل ما فعله لم يخرج عن كونه مجرد هفوات لا تعد شيئا مقارنة بما يفعله أقرانه أو حتى أشقائه. ربما كان ذلك وراء تلك المكانة التى تمتع بها فى قلبى. وربما كان سبب ذلك أننى لم أكن أبذل جهدا كبيرا فى استيعابه. كان كالكتاب المفتوح أمامى أقرؤه بسهولة. يسهل على ذلك إنه لا يخفى عنى صغيرة ولا كبيرة. فكان يسهل على توجيهه دون عناء ونصحه دون مشقة ولم أكن أفعل ذلك كما تفعل أمهات كثيرا ممن يرتدين ثوب الواعظ الحكيم الذى غالبا ما ينفر بكلماته المتعالية من يوعظه فيضل الوصول لهدفه. كنت أفضل دور الصديق الذى يقدر زلات صديقه

وينصحه دون تكلف أو استعلاء. كان ذلك قبل أن تفقد كلماتى طريقها إلى عقله. لا أعرف متى بدأ ذلك الشعور يتسلل إلى؟ متى أدركت أنه لم يعد لفرحى أو غضبى أو رأيى من تأثير فيه. ربما أدركت ذلك متأخرا وربما أدركته من البداية لكنى كذبت نفسى، آثرت تجاهل جهاز الرادار الداخلى الذى وهبه الله لكل امرأة. لم أستمع لأجراسه التى بدأت تتعالى داخلى كتمت أصواتها وحجبت قلبى عن سماعها. لم أبالى بتحذيراتها من الأخرى التى اقتحمت حياة ابنى فقلبتها رأسا على عقب. خشيت أن أقع فى أخطاء أمهات أخريات كنت كثيرا ما أنتقدهن لأنهن تعلقن بأولادهن بشكل مرضى فأصابتهن الغيرة بعدما ذهب هؤلاء إلى عالمهم الجديد. رفضت أن أكون واحدة من هؤلاء بيقين أنها سنة الحياة وأن من حق ابنى أن يحب ويتزوج وتكون له شريكة حياة لها مكانة مهمة فى عقله وقلبه واهتمامه. كنت أدرك ذلك لكنها هى من تقدر أن للأم حقوقا وأن حياتها مرهونة بكلمة طيبة وابتسامة رقيقة واهتمام صادق وحنان فياض تنتظر أن يجود به أبناؤها دون أن تتسوله لكنها أرادت لى أن أشحذ حنان ابنى أرادت لى الوحدة والعزلة والحرمان. تلك النهاية التى طاردتنى كوابيسها منذ تعرف ابنى إلى تلك الفتاة التى صارت زوجته. كنت أعرف أنها مختلفة عنه فى كل شىء وأخطرها تلك الحدة التى بدت عليها طباعها وعكسته كلماتها ونظرات عيونها المتسلطة. أدركت ذلك منذ فترة الخطوبة لكننى لم أشأ أن أعترف لابنى آثرت الاحتفاظ بانطباعاتى بعدما حاولت التلميح مرارا لها فصدنى قلب ابنى العاشق المتيم القادر على التسامح وأعمته عيون الحب عن اكتشاف

عيوب محبوبتــه. فرحة ابنى جعلتنى أؤكد ظنونى على أمل أن تخيبها الأيام لكنها فعلت العكس. بعد شــهور قليلــة من الزواج ظهرت زوجة ابنــى على حقيقتها وإن لم يشــأ هو أيضا الاعــتراف بها.لكنها تركت آثارهــا واضحة عليه. لم يعد كما كان لا يتقبل كلماتنا وآراءنا إلا بضيق واضح. أصبحت كل تصرفاتنا موضع انتقاده. أصبح يبتعد يوما عن آخر عنا لا يزورنا إلا قليلا تمر أياما دون أن يفكر فى الاتصال بنا. أصبحت أشــعر أننا على هامش اهتمامه. لم يعد ذلك الابن البار الذى كان عليه طوال حياته أصبح عصبيا شــاردا أقرب للجحــود بنا. هل أصاب قلبه جمــود انتقلت عدواه مــن زوجته التى أعلم جيــدا علاقتها غير الطيبة بأسرتها وكثيرا ما اشتكت شقيقاتها من ذلك الجفاء والفتور التى تعامل به الجميع. ترى هل حولت ابنى لصورة بغيضة منها أم أنها مجرد فترة طارئة سيعود ابنى بعدها كما كان؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أقدر بقلب أم مشاعرك. أدرك أن حاجتنا لحنان واهتمام أبنائنا كبارا تفوق حاجتهم إلينا صغارا. لكن كما قلت أنت إنها سنة الحياة. تأخذهم بعيدا عنا. ندرك ذلك ونشــعر بالأســى أحيانا ونقدر انشغالهم أحيانا. ويهون علينا المر شعورنا أنهم سعداء فى حياتهم مستقرين فيها. لكن مالا نستطيع تحمله أن نلمح التعاسة على وجوههم وقتها لا نستطيع أن نغفر لمن سبب لهم ذلك. أعتقد أن هذا هو السبب الرئيسى لأزمتك فإحساسك بأن حياة ابنك تفتقد لمشــاعر الدفء والســعادة والهدوء وإحساسك بأنه بدأ يفتقد تلك الصفات الجميلة التى تحلى بها طويلا بفضل تلك الزوجة

التـــى تركت آثارها ليس فقط عليه وإنما على علاقته بأســـرته على رغم أنـــك علـــى حد وصفك لم تتدخلى فى حياتهما ولم توجهى لها يوما أى نقد ولم تقدمى لها سوى كل طيب وأعتقد أن هذه المعاملة الطيبة ستؤتى ثمارها على المدى البعيد لذلك أنصحك بالاســـتمرار فى عدم التدخل فى حياة ابنك دعيه يصرف حياته كيفما يشـــاء وأعتقد أنه لن يتحمل تلك الصفات التى تتســـم بها زوجته والمناقضة لســـلوكه وتربيته ولا شك أنه سيحاول تهذيب سلوكها وتقويمه نحو الأفضل.وهذا أمر طبيعى يحدث كثـــيرا فى الســـنوات الأولى من الزواج وتدخلك ربمـــا يزيد الأمور تعقيدا وثقى أنه ســـيكون الأقدر على تســـيير حياته وأنه يوما سيعود مثلما كان بارا حنونا عندما ينجح فى تحقيق الاستقرار فى حياته سواء بالاستمرار مع زوجته بعد نجاحه فى تقويم ســـلوكها أو الانفصال عنها إذا لم يجد مفـــرا من ذلـــك. اتركيه يختار وانصحيه مثلما فعلـــت دوما بروح صديق وبقلب أم ادعى الله أن يصلح حاله.

رد الجميل

هى ليســت أمى لكننى لا أعرف فى دنياى أما سواها. تفتحت عينى علــى حنانها.كنت أشــعر بكل خفقة من قلبها ترتجــف إذا ما أصابنى مكروه وكنت أرى السعادة تنطق بها كل خلجة فيها كلما أحرزت نجاحا مــا فى حياتى. دعواتها كانت تحيطنــى تحمينى فتفتح ببركتها جميع الأبــواب الموصدة وتمهد لى الطرق الصعبة وتلين لى القلوب العصية وكثيرا مــا ترجمتها كلماتهم «ده أنت أمك دعيالــك» أبعد هذا لا تكون أمى؟! هــى بالفعل كذلك أو بمعنــى أدق هى أمى التى لم تنجبنى. رحلت تلك التى حملتنى برحمهــا قبل أن تحفظ ذاكرتى ملامحها ورحل معها أبى فــى حــادث أليم ليتركانى وحيدا. لكنى أبدا لم أعرف ذلك الإحســاس باليتم بفضل عمتى أو أمى التى ربتنى وكفلتنى. ســنوات طفولتى كادت تمر دون أن أعرف أنها ليست أمى. أدركت الحقيقة فقط عندما التحقت بالمدرســة عرفت أن شــهادة ميلادى تحمل اسما غير مــن كنت أناديه بأبى واسما آخر غير أمى التى أعرفها. قادتنى حيرتى للسؤال وعرفت، لم أبــك لكن شــعور بالحيرة انتابنــى وللحق لم يســكننى طويلا فحنان عمتــى وزوجها يفوق حنان كل أم أراها تعامــل أولادها. لكن ما أقلقنى وأفزعنى حقا عندما عرفت أن عمتى أقصد أمى تنتظر مولودا كانت تطوق إليه بعد ســنوات من الحرمــان. وكم كانت فرحتها بــه وكم كان قلقى وقتها. أحسست أن الوليد القادم سيكون الأهم والأجدر بالرعاية والحب والاهتمــام. لكن ســرعان ما تبددت ظنونى عندمــا أمطرتنى أمى بحنان

فـاق مـا كانت عليه وكذلك أبى. لم يتغيرا ظـلا يرعاننى ولم يفرقا يوما بينى وبـين أبنائهم «الذين صاروا إخوتى» كنـت موضع اهتمام الجميع طـوال حياتى معهم حتى تخرجت وتزوجت. لم يبخلا على بمال تكفلا بمعظم تكاليف زواجى وتحملت أنا جزءا قليلا بقدر ما اسـتطعت توفيره مـن عملى. إلى هنا كانت حياتى تسـير هادئة حتى اقتحمتها تلك التى شـاركتنى إياها. زوجتى، كانت دائما تنتقـد تصرفاتهم فى غيابهم. لم تكن تفضل زياراتهم وتسـوق الحجج حتى أذهـب وحدى. وليت الأمر توقف عند ذلك بل كانت تفتعل الشجار معى إذا ما علمت أننى اشتريت لهم هدية أو شـيئا ما من احتياجاتهم أو سـاعدتهم بجزء من مال. كنت أفعـل مـا أراه طبيعيا ويفعله كل رجـل مع والديه. كنـت أحاول قدر اسـتطاعتى رد الجميـل اعترافا بفضلهما خاصة بعدما تحسـنت أحوالى الماديـة بفضل دعواتهما. فى البداية كنـت أتعامل مع تصرفات زوجتى بهـدوء لكن تماديهـا دفعنى للحدة وإن لم تردعهـا أيضا فآثرت أن أبر والدى فى الخفاء دون علمها لكنها اكتشـفت وثـارت وعندما واجهتها بـأن ما أفعله هو أبسـط حقوقهما على وأن هذا هـو ما أمرنى الله به أن أطيعهمـا وأرحمهما كما ربيانى صغيرا. صدمتنى كلماتها عندما صرخت فى وجهى بأنهما ليسا والدى ولا يستحقان منى كل ما أفعله. وأن ميراث والدى هو الذى دفعهما لذلك طمعا فيه. لم أرد عليها إلا بصفعات انهالت علـى وجهها ألهذا الحد قادها الجحود نسـيت ما رويته لها عما فعلاه من أجلى نسـيت ما قلتـه لها من أن ميراثى من والـدى لم يتعد آلاف الجنيهـات تركاها وديعـة باسمى حتى تزوجت بل رفضا أن يسـتعينا بهـا فى تكاليف زواجى قدماهـا لى يوم فرحى. فعلا ذلك على رغم كل

الضوائــق التى مرت بهما كنت أعرف ذلك ويعرفه جميع أهل أمى وأبى الراحلان. زوجتى أيضا كانت تعلم ومع ذلك كانت تنكره لتســتأثر بكل مالى بحجة أن بيتها أحق وبسبب ذلك تصاعدت حدة مشاكلنا لدرجة لم أعد تحملها فماذا أفعل؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

الحياة لا تسير دائما على وتيرة واحدة والأزمات تبدو قدر كل إنسان فيهــا وإن اختلف نصيب كل منا عن الآخر واجتيازها يحتاج منا لكثير مــن الصبر والحكمة والرضا أو بمعنى آخر كثــير من الإيمان هو الكفيل بمدنــا بالصبر والحكمة والرضا لنتعامل مع المصاعب باعتبارها ابتلاءات الصــبر عليها يزيد من ميزان حســناتنا والصبر والحكمــة يعيناننا على تجاوزها بســهولة. ومشــكلتك تحتاج لقدر من الصــبر والحكمة لإقناع زوجتــك بحجم الخطأ الذى ترتكبه فى حــق والديك حاول أن تذكرها دائمــا بفضلهما عليــك وأن لولاهما ما حققت ذلــك النجاح فى حياتك وعملك فربما غفلت عن هذا الفضل فإن لم تنجح، فالأمر هنا يحتاج منك مزيدا من الحزم والشدة وردعها عن التدخل فيما يتعلق بوالديك ويمكنك الاســتعانة بوالديهــا فربما يكون تأثيرهما فــى إقناعها أكبر من تأثيرك عليها خاصة إذا ما أوضحوا لها أن ما تفعله ربما يقودها لتدمير حياتها معك. ولا أحاول أن أهون عليك الأمر عندما أقول لك إن مشكلتك يعانى منها العديد من الأزواج ولكل منهم طريقته لاجتيازها بقليل من الحكمة ستجتازها أنت أيضا.

صرخة

بصرخة نستقبل الحياة وعلى صرخة نودعها.. وبين الميلاد والرحيل عديـد من الصرخات أحيانا تنطلق عالية وأحيانا نكتمها.. كم أكره هذه الصرخات أشعر أنها تخنقنى تدفعنى لليأس أحاول الهرب منها لكنها تحيطنى فى كل مكان.. قدرى أن أعيش وسط أسرة أدمنت الصراخ خاصة أمى التى فتحت عينى على صرخاتها الحادة العصبية العنيفة تطلقها فى وجه الدنيا التى ضنت عليها وحرمتها رغد العيش.. تنكب على ماكينة الخياطة تضغط عليها بعصبية فيصدر عنها أنين يشـبه الصرخات.. أما أبى فكان لصرخاته شكل آخر هى أقرب للاحتجاج على ضيق ذات اليد وعجزه عن تلبية أبسـط احتياجات أطفاله الثلاثة. صرخات أبى أشـبه بصفير القطار الذى يعمل عليه.يطلقه وكأنه يعلن تصميمه على أن يكون الغـد أفضل لنا.. هكذا كان يعدنـا وعلينا التعلق بآماله.. إلا أن إخوتى خيبـوا ظنونـه أما أنا فحققـت حلم أبى فى أن أكـون طبيبة.. جاءت صرختـى عنيدة متحدية ظروفا لا ترحم.. صممـت على أن آخذ الدنيا غلابا.. واعتقدت أننى نجحت سنوات طويلة تحيطنى نظرات الإعجاب والانبهار من الجميع أسـاتذتى زملائى كان الجميع يشهد بتفوقىطبيبة أمراض نسـاء وتوليد ناجحة وحققت بهذا النجاح نصف أحلامى وبقى النصـف الآخر الذى تحلم به كل فتاة الفسـتان الأبيض والفارس الذى يقتحـم حياتى فيجعلها أجمـل.. فأكتمل به ويكتمل بـى.. لم يتأخر

حلمى كثيرا فسرعان ما تقدم لى زميل يعمل فى نفس المستشفى الذى أعمل به أبدى إعجابه ومالبث أن تحول إلى حب..كان من الطبيعى أن أحكى له عن أسرتى المتواضعة وإن كانت مصدر فخر لى لكنها لم تكن كذلك إلا فى عينى فقط أما زميلى الطبيب فكانت له وجهة نظر أخرى لم يصرح لى بها لكنى قرأتها فى عينيه عندما طلب منى تأجيل مشروع زواجنا بعدها فوجئت بانتقاله للعمل فى مستشفى آخر. لم يكن زميلى الطبيب هو آخر الهاربين فسيناريو الهروب تكرر كثيرا حتى كدت أيأس من تحقيق حلمى فى الزواج.. تخطيت الثلاثين وبدا الحلم أشبه بالمستحيل حتى ظهر لى عريس آخر أو على الأدق عريس أخير رشحته لى إحدى معارف أمى ترددت كثيرا فى قبوله ليس لأنه خريج تجارة وليس مهندسا أوطبيبا كما تفضل كل طبيبة لكن لأنه لا يعمل بشهادته وإنما يعمل فى ورشة أبيه لإصلاح السيارات. نعم كان العريس يعمل ميكانيكيا. وما العيب أليست مهنة شريفة؟ ألن يحقق لك مستوى معيشى لا تحلمين به. أليس أفضل من حياتك وحيدة إذا عشت لك اليوم فلن أعيش غدا. «ضل راجل ولا ضل حيطة» أتريدين أن تحرميننى من فرحتى بك قبل أن أموت وهل تقدم الطبيب والمهندس ورفضنا.. انطلقت صرخات أمى بهذه الحجج تدفعنى للقبول بينما ترك أبى لى حرية الاختيار وإن لمحت فى عينيه ميلا للقبول لماذا اختفت صرخاته المحتجة المتحدية هل نال منه الزمن إلى هذه الدرجة إذا كان هذا هو نهاية كل من يتحدى الزمن فلماذا أقاومه أنا فلأكف عن الصرخات غير المجدية هكذا أقنعت نفسى ووافقت، للحق لم يكن زوجى بالشخص

السيىء ولم تكن حياتى بقدر السوء الذى توقعته أوهكذا بدت لى فى البداية. بعد عام بدت الصورة مختلفة شعرت بحجم الكارثة التى ورطت نفسى فيها. بدأت أشعر بالنفور من زوجى لم يكن بيننا أى توافق طباعنا أفكارنا ميولنا اهتماماتنا كلها مختلفة لم يكن يفهم ما أقوله ولا تجذبنى أحاديثه لا يبهرنى نجاحه فى اجتياز العقبات التى تواجهه فى عمله صحيح أنه كان ناجحا فى عمله وحقق لى مستوى معيشيا لم أكن أحلم به لكن على الجانب الآخر كانت لمهنته تأثير واضح على سلوكه كلامه طريقة تناوله للطعام اهتمامه بملابسه، كل شىء ينفرنى منه ومع ذلك لم أكن أصرح بما يدور فى نفسى تجاهه كنت حريصة على أن أكتم مشاعرى حتى لا أسبب له أى إحراج. كانت العشرة الطيبة وأخلاقه الكريمة تلجمنى.. فكرت فى طلب الطلاق لكنى حتى الآن لا أجد فى نفسى الشجاعة أشعر بحاجتى الآن فى الصراخ فى وجه حياتى التعسة لكن صرختى تظل مكتومة لا أقوى على الجهر بها لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

تحدثت كثيرا عن الصرخات التى نطلقها ألما من ضربات القدر ونسيت أننا أحيانا نساهم دون أن ندرى فى خلق حالة التعاسة ونسجن أنفسنا فيها ولا نسمح لأنفسنا بالخروج منها لتظل صرخاتنا منا وإلينا أعتقد أن هذه هى حالتك تماما. تسرعت فى الزواج من شخص غير مقتنعة به فقط من أجل اللحاق بقطار الزواج ونسيت أنه ليس هدفا فى حد ذاته وإنما وسيلة لتكوين حياة أسرية مستقرة ولا يمكن أن تحققى ذلك إلا ببذل مجهود كبير لمواجهة العديد من المشاكل التى لن تنجحى

فـى اجتيازهـا دون أن يكون لديك الحـد الأدنى مـن التفاهم والقبول والاقتناع بشـريك حياتك. خطؤك الأول إذن هو التسرع فى قبول الزواج من إنسـان غير مقتنعة به أما خطؤك الثانى هو عدم مصارحتك لزوجك بالأشياء التى تبعدك عنه لا يعنى كلامى أن تكون جارحة لزوجك لكن يمكنك أن تصلى لهدفك بشـكل غير مباشر.. أنصحك بالمحاولة أما إذا فشلت فى تغييره وشعرت أن نفورك منه يزداد فأنصحك بالانفصال فهذا أفضل من أن تخدعى نفسك وتخدعى زوجك وربما وجد كل منكما فيما بعد نصفه الآخر الأجدر به.

قلب حائر

دوامة من الحيرة تغرقنى.. أتوه فى بحار من التساؤلات المقلقة تفضى بـى إلى متاهـة من التردد..أتأرجـح بين ومضات عقـل تجذبنى إليها ونبضات قلب تأخذنى بعيدا عنها.. أقترب بحذر تبدو خطواتى متعثرة ثـم لا ألبـث أن أتراجع ثانية..دنو الخجـل لا يغيب عن عقلها اللماح وإن بدده شـغف قلبها المتعلق بى.. كانت مشـاعرها تنطق بها عيونها ليقرأهـا الجميع دون عنـاء.. وكنت أول من قرأها وفهم لغتها وأشـفق على تساؤلاتها الحيرى لكنى أبدا لم أستطع أن أجيب عنها بما يطمئن قلبها على رغم أنها كانت أقرب زميلاتى إلىّ. أشـعر بالراحة معها هى تفهمنى أكثر من نفسـى أرتاح لكلماتهـا أثق فى رأيها كثيرا ما وجدت فيه السكينة والهدوء والراحة كانت تعرف كل شىء عنى أحلامى آمالى مشـاكلى البسـيطة ما يسـعدنى ما يقلقنى.. ومع ذلك ظل خيط رفيع يبعد قلبى عنها ذلك الخيط الذى يفصل بين الحب والصداقة الحميمة. كـم تمنيت أن أعيش ذلك الإحسـاس الذى حدثنى به أصدقائى.. ذلك الشـعور الذى يسـيطر على كل تفكيرى ذلك الخفقـان الذى يهز قلبى لكنى للأسف لم أشعر به معها وهو ما أوقعنى فى حيرة لسنوات طويلة لم أسـتطع فيها أن أعترف بحبى وفى نفس الوقت لم أسـتطع الابتعاد عنهـا، حيرة زادتها حالة الاضطراب التى بدت أعراضها واضحة على زميلتى رغبة فى حسم علاقتها بى وأعترف أننى افتقدت كثيرا للشجاعة

التى تجعلنى قادرا على مصارحتها بتردد مشاعرى خشية أن أفقدها وهو مالم أستطع تحمله.. هكذا مرت سنوات الدراسة الجامعية.. لم يمنعنى هــذا التخبط مــن الحصول على امتياز وكان ذلك بفضل تشــجيعها فتم تعيينى معيدا بالكلية وكذلك هى التى نجحت بتفوق وكانت الأولى على الدفعة واستمرت علاقتنا بعد التخرج.. عطاء وتفان من جانبها وتردد من جانبــى. الغريب أن ذلــك لم يؤثر يوما فى طموحها ونجاحها فنجحت فــى الحصول على الماجســتير وكذلــك الدكتوراة وكنت أنا على وشــك الانتهاء من رسالتى عندما تعرضت إلى صدمة نفسية كبيرة حيث فقدت أمى وأبى وأشــقائى بعد انهيار المنزل الذى نقطنه ضاعت أســرتى وكم كان حزنــى كبيرا وفوق هذا ضاعت فى أنقاض البيت رســالة الدكتوراة التى أوشــكت على إنهائها.. كانت ضربة القدر موجعة قاســية شعرت أننــى وحدى فى هذه الدنيا عاجز ضعيف، شــعور باليأس كاد يدفعنى للانتحــار لولا زميلتــى القوية الحنون..كنت على وشــك ترك الجامعة والبحث عن وظيفة أخرى لم يبدد ظلام نفســى الســاخطة إلا بريق أمل مدته لى تلك الصديقة ساعدتنى فى إنجاز رسالتى فى وقت قصير وقفت بجانبى للحصول على شــقة وساعدتنى بالمال وبالجهد لم تبخل بوقتها قدمت كل ما تســتطيعه حتى نجحت فى الوقوف من عثرتى كم كانت سعادتها يوم حصولى على الدكتوراة ألهذا الحد كان يعمينى قلبى عنها، ومــاذا أنتظر هى أكثر من يســتحق حبى هكذا اعترفت لنفســى وزالت غشاوة التردد من عينى أو هكذا اعتقدت.. حاولت تعويضها عن سنوات الانتظــار الطويلة تقدمت إليها وتزوجنا.. لم يتغير شــعورها بعد الزواج

كانت نعم الزوجة البارة الحنونة المعطاءة ومع ذلك ظل شعورى المحايد نحوهـا دون تغير ظلـت الأقرب لعقلى أما قلبى فمـازال على عناده لم يخفـق إلا بعد أن التقيـت بأخرى زميلة جديـدة انتقلت للتدريس فى كُليتنـا كان كل مـا فيها عاديا ربما تبدو أقل جمـالا من زوجتى وأقل ثقافة وأدنى فى المسـتوى الاجتماعى ومع ذلك وجدتنى مشـدودا إليها كل ما فيها يجذبنى كلامها ابتسامتها آراؤها.. كان اهتمامى بها واضحا للجميـع وأولهم زوجتى التى حاولت إنكار اتهاماتها المبطنة لى لكنى لم أفلـح فقد كانت تفهمنى أكثر من نفسـى هى تحاول بحكمة أن تتجاوز أزمتـى حفاظا على بيتها وأولادها أما أنا فمازالت مشـاعرى تتدفق فى اتجاه آخر يقربنى أكثر من زميلتى لا يحجمها سوى خشيتى من فقدان زوجتى وهوما لا أستطيع تحمله لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

كم أشـفق عليك من هذا التردد الذى حول حياتك إلى جحيم سنوات ضيعتها حتى أيقنت أن زميلتك هى الأنسـب لك وسنوات أهم تضيعها وأنـت تعرض حياة أسـرتك للدمـار والانهيـار.. وفى رأيـى أن وراء ما وصلـت إليه أنانية تبدو هى السـمة الأبرز فى شـخصيتك أدت إلى الأخذ، دون العطاء اسـتعذبت مشاعر زميلتك المتدفقة نحوك ومع ذلك بخلـت بحبك لها واقترنت بها فقـط كنوع من رد الجميل عندما طوقك عطاؤها وتفانيها لإسـعادك وللأسـف فشلت فى النهاية فى رد الجميل عندما اتجهت بمشاعرك نحو أخرى توهت بحبها وربما تكون أحببتها بالفعل لكن ليس بالحب وحده يحيا الإنسـان كما يقولون فالمشاعر التى

تجمعــك بزوجتك فى رأيى أهم بكثير من الحب علاقة يســودها تفاهم وود يدعمــه حب وتفان من زوجة محبة معطاءة ربما كان تفانيها واحدا من أســباب أزمتك للأســف. يبدو أن حب زوجتك اللا محدود جعلك لا تقدره حق تقدير.. نصيحتى أن تطرد الأوهام وأن تفتح قلبك لزوجتك فهى الأحق بمشــاعرك ولن تجــد فى الدنيا من يحبــك مثلها ويتفانى لراحتك مثلما فعلت.

❍❍❍

قرار مؤجل

أحيانـا يصعب علـى البعض اتخاذ قرار حاسـم. بالرغـم من الثقة فـى صوابه وأنه طوق النجاة الوحيد الـذى يحقق قدرا من راحة البال. وأنـا واحدة من هـؤلاء الذين آثروا التأرجح علـى حبال اللاحياة. ممن تركوا حياتهم للقدر والصدفة وعبث الدنيا تسـيرها كيفما تشاء. لم يكن موقفـى هذا ناتجا عن تردد بقدر ما دفعنـى إليه ظروف كبلتنى بتواطؤ مـع مصيرى الذى بدا مظلما. بعد ما أصابنـى عجز عن الجهر بقرارى ليظل مدفونا فى أعماقى وإن فضحته معالم حزن وهموم وانكسار خطت ملامحها على وجهـى فانطفأت فيه بريق الحياة. طويت قرارى مرغمة مضطرة. قرار عمره من عمر سـنوات زواجـى الطويلة الحزينة. ظهرت ملامح فشلها منذ الشهور الأولى عكستها حالة من الخلافات.. الشجار.. الخصـام.. الهجر كشـفت بوضوح عن عدم تفاهم ونفـور وتباعد الرؤى والطبـاع وحتـى الأحلام والطمـوح. نقيضان كنا وظللنـا كذلك لم تفلح العشرة الطويلة فى تقريب مسافات الجفاء بيننا. يحب ما أكرهه وأعشق مـالا يطيقه. تناقض كان كفيلا بهدم الحياة مـن بدايتها لكنها نصائح الأهـل تلـك التى تدفعنى للاسـتمرار بدعوى التفاهم يأتى مع العشـرة والصـبر وضرورة التحمل فخـراب البيوت ليس بالأمر الهين وغيرها من النصائـح المحفوظة التى نذعن لها مضطرين فى النهاية. هكذا وجدتنى أسـتجيب للزن الذى هو أمرّ من السحر. حتى لا أُتهم بالتهور والجنون

وقلــة الصبر. ارتديت رغما عنى ثــوب الحكمة وحاولت أن أجد طريقة للتفاهم مع زوجى. حاولت كثيرا لكن محاولاتى باءت جميعها بالفشل. كان يريدنى صورة مكررة منه تابعا ذليلا بلا عقل أرادنى أقرب لخادمة منها لزوجة. قاومت فازداد عنادا وعصبية وإيذاء نفســى وبدنى. لم أعد أتحمل واضطررت لحمل حقيبتى ورحلت لبيت أبى. يدفعنى الاحتياج إلى الــدفء طالما افتقدته. بهذا الحنين عدت. لكنى لم أجد بيتنا القديم كمــا كان. فبعد رحيل أمى أصبح البيت غريبا بالرغم من أن أبى مازال مقيمــا فيــه مع أخى وزوجتــه إلا أن وجود الأخــيرة كان كافيا بتغيير ملامــح بيت العيلة. فضلا عن أنها أصبحت الآمرة الناهية فيه. لم يكن ذلــك يعنينى كثيرا قبــل أزمتى لكن بعد عودتى أصبحت أشــعر أننى ضيــف ثقيل غير مرغوب فيه. لم تفلح كلمــات أبى فى التخفيف عنى أو تمنعنى من الشــعور بأننى أصبحت شــريدة بلا مأوى. شعور بغيض دفعنى لقبول وســاطات أهل زوجى لإقناعى بالعودة إليه. عدت ومرت أيامى ثقيلة كما كانت دوما. حتى بعد أن رزقنى الله بطفلتين جميلتين. إلا أن وجودهما لم يكن كافيا لمد جسور التفاهم بل على العكس ازدادت الهوة بعدما انعكست خلافاتنا أيضا على طريقة تربيتهما. وزادت الأمور سوءا بعدما لاحظت تلك القسوة التى يعامل بها زوجى ابنتيه. عجز عن إســعادهما كما عجز عن إســعادى وكان مجرد وجوده فى البيت معناه توتــر وقلق وعصبية وشــجار. كان حزنى على ابنتــى يفوق حزنى على نفســى. ومرة أخرى فكرت فى الطلاق لكنى عجزت عن اتخاذ القرار. فلــم يكن أمامى من مأوى غير بيت زوجى ولم يكن لى دخل يســاعدنى

على تربيتهما خاصة بعد إصراره على تركى لعملى واضطررت لذلك بعد سلسلة من الشجارات انتهت باستسلامى لرغبته حتى تسير الحياة. وتفرغت لرعاية ابنتى وتحملت فى سبيل ذلك حدة وأنانية وقسوة والدهم أعترف أن قرار الطلاق راودنى كثيرا لكنى وأدته شجعنى على ذلك نصائح الأهل والأصدقاء لتقنعنى بالتضحية من أجل البنتين اللتين كبرتا وأصبحتا عروستين بالطبع ستقل فرص زواجهما إذا ما أقدمت على الطلاق. من أجل عيونهما تحملت حتى اطمأننت عليهما وتزوجتا من شابين طيبين بعدها عاودنى قرارى القديم المؤجل الحلم الذى راودنى ما يساعدنى على تحقيقه الآن أن بيت العيلة عاد كما كان بعدما تركه أخى وزوجته اللذان أنعم الله عليهما بمنزل آخر أفضل ولم يعودا بحاجة إليه وبالطبع تركا أبى فيه. أخيرا تتضافر الظروف لصالحى بعدما عاندتنى كثيرا. لا أشعر بأى تردد فى قرارى بالانفصال عن زوجى لكن كلمات الأهل والأصدقاء وحدها من تحاول إثنائى عن قرارى من أجل عيون البنات أيضا وخشيتى من ألسنة الناس التى ستجد فى حكايتى أنا المطلقة الخمسينية مادة للتندر. لا أقتنع بحججهم لكنها بلا شك تترك أثرها فى نفسى. أحتاج لمن يشجعنى على قرارى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أحيانا تدفعنا الظروف إلى عكس ما نتمناه.فنضطر إلى تحمل حياة لا نطيقها ونرضى بمصير لا نجد فيه سعادتنا. وللأسف قليل منا من ينجح فى مواجهة نفسه بالحقيقة وإتخاذ القرار الذى يرى فيه سعادته بغض النظر عن آراء الآخرين فيه. وكثيرون من يتشابهون معك

فى مواقفهــم فيتركون حياتهم للظروف تحركها كيفما تشــاء إما بدافع التضحيــة مــن أجل عيون الصغار أو هربا من قســوة نظــرات الناس أو عجــزا عن إيجاد بديل ومأوى بســبب الظــروف الاقتصادية الصعبة أو لجملــة هذه الأســباب جميعها كما حدث لــك وأعتقد أنك تحملت بما يكفى بقدر يجعلك أكثر قدرة على تحطيم هذه القيود خاصة بعدما حلت مشكلة الســكن. نصيحتى أن تتخذى قــرارك المؤجل مادام فيه راحتك وطالما وصلت الحياة بينك وبين زوجك لهذه الدرجة من اللاتفاهم والنفور. اهربى بسنوات عمرك القادمة وتمسكى بفرصتك الأخيرة لتنعمى بالهدوء والراحة ويكفيك ما سرقته الأيام الحزينة منك.

سنة أولى حب

وشوش

مشكلتى أننى صريحة، «اللى فى قلبى على لسانى» لا أجيد فن التلون والنفـاق ولا أتقن رسـم الأقنعـة الزائفة المتبدلة حسـب المواقف والمصالح والأهواء. كم أحسد هؤلاء الذين يتقنون فن النفاق ويجيدون تثبيت أقنعتهم الزائفة.فهـؤلاء هـم الأكثـر قدرة علـى التعايش فى زمن الكـذب والرياء والخداع. أما أنا وأمثالى فنبدو كالحمقى البلهاء. أشعر أحيانا أننا جئنا فى الزمن الخطأ. وأنه لا مكان لنا فى هذا العالم. وأحيانا أشـعر بالفخر على ما أنا عليه. أحمد الله أنه حمانى من الكذب والنفاق. مشـكلتى الآن أننى ارتبطت بزميل لى فى العمل وجمعتنى به مشاعر بدأت بالإعجاب وتحولت بحكم العشـرة والتعود إلى حب وبدأنا نخطط لمستقبلنا معا. وهو الآن على وشـك التقـدم لخطبتى. لكننـى لاحظت فى الفترة الأخـيرة طباعا بدت تتكشـف لى لأكتشـف معها أنه لا يختلف عن أولئك الآخرين الوصوليين المنافقين. أكثر من موقف كشـف لى مدى نفاقه لرؤسائه وأتباعه. أساليب ملتوية لنيل رضاهم للحصول على أقصى مكاسب. أشعر بالتردد الآن لقبولى الزواج منه. وأننى أميل إلى رفضه بماذا تنصحينى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

خيـارات هى الدنيا. وكل يختار ما يريحه ويتناسـب معه. اخترت الطريـق الصعب لكنك لسـت وحدك فيه. فهنـاك الكثيرون من أمثالك

وإن بدو قلة أمام الأغلبية من المنافقين الذين تحدثت عنهم. لا أنصحك بالارتباط بزميلك. فحياتكما معا لن يكتب لها النجاح نظرا لتناقضكما واختلاف مبادئكما. عليك بالتريث حتى تجدى من هو على شاكلتك ويؤمن بنفس مبادئك فى الحياة. أما عن أقنعة البشر فكثيرا ما نرصدها مثلك ونقول:

طول مانت ماشى فى دنيتك تلقى وشوش ووشوش
وشوش تخفى الحقيقة ورا قناع مغشوش
ووشوش تبان صديقة فى الورطة ما يسعدوش
ووشوش تظهر مريحة وأذاها متشفهوش
وإن تسأل ع الصريحة ف زمانا متلاقيهوش

كلام الناس

مشـكلتى أننى أضع اعتبـارا أكثر مما ينبغـى لآراء الناس فى ثقتى أسـتمدها من إشادتهم بى وتشجيعهم لى، كلماتهم من الممكن أن ترفعنى إلى أعلى أو تهبط بى إلى الدرك الأسـفل من الإحباط. سـعادتى متوقفة على طريقة تعاملهم معى واسـتقبالهم لى. حتى عندما دق قلبى بالحب لأول مـرة تـرددت فى ارتباطى به ولم أحسـم الأمـر إلا بعد أن قمت بما يشبه الاستطلاع لأعرف رأى الناس فيه والأكثر أن علاقتى به تتغير تبعا لدى قبول الآخرين له. مشاعرى المضطربة أصابتنى بالحيرة لكننى لا أسـتطيع التخلص من ذلك الضعف داخلى تجاه الناس حتى شعرت أننى كدت أصبح دمية فى يدهم كيفما يشـاءون خاصة بعدما اكتشـفوا ضعفى وأصبحت مثار سـخرية وتندر البعض واسـتغلها آخرون لإلحاق الأذى بى. كيف أتخلص من هذه الحالة بماذا تنصحينى.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لا شـك أن آراء الآخرين مهمة لنا لكن لأهميتها بالطبع حدود، هى مفيدة لنا فى تقويم سلوكنا والتخلص من نقاط ضعفنا والتقدم نحو الأفضل لكن أن تتحول إلى طوق يكبلنا يتحكم فينا يقيد اختياراتنا وأفكارنا فتلك حالـة مرضية علينا التخلص منها. أعتقد أنك فى حاجة لمزيد من الثقة بالنفـس تجعلك أكثـر ثباتا واتزانا فى تعاملك مـع الآخرين. عليك أن تبحثى عن مواطن القوة داخل نفسـك لا شـك أنك سـتجدين الكثير.

دربى نفسك على الاعتماد على نقاط القوة تلك. فلا شك أن الأمر سينتهى بأن تصلى إلى حالة من التوازن تجعلك أكثر ثقة فى تعاملك مع الآخرين.

وبكلمات أخرى أقول لك:

عـلـشـان تـعـيـش مبسوط انس كلام الـنـاس
لا تـسـيـبـه يوم يـرفعـك ولا يجعلك تـنـداس
واخف تملى مشاعرك متزيدش فى الإحساس
تـلقى مكانك ما بينهم أقـدام وروس تـنـبـاس

قلب جريح

مسكين من يؤمن بالحب فى زمن الغش.. وللأسف أنا واحدة من هؤلاء المساكين الذين أصابتهم لعنة العشق.. أصابتنى اللعنة من اليوم الأول الذى وقعت عيناى عليه.. كان معيدا بالكلية التى أدرس فيها.. وكنت فى السنة الأولى.. جذبنى بكبريائه وثقته بنفسه ووسامته. تلك الوسامة التى لفتت زميلاتى أيضا إليه.. لكننى كنت أكثرهم فتونا به وتشاركنى فى ذلك طالبة أخرى. شعرت أنها الأقرب إليه.. فكانت نظراته تشى بالإعجاب كلما لمحها وإن كنت ألمح نظرات مماثلة يصوبها نحوى.. مزقتنى الحيرة وأنا أتساءل كل يوم أينا يحب؟ وجاء تفوقى ليزيد من كفة ميزانى.. بهرت الجميع بتقديراتى العالية بما فيهم ذلك المعيد الحبيب.. وكنت الأولى على دفعتى لعامين متواليين.. وربما ما دفع ذلك المعيد للتقرب منى وإن لم يبتعد فى نفس الوقت عن زميلتى.. ظل الصراع الخفى بينى وبينها حتى حسمه القدر لصالحى. فكانت النهاية المؤقتة السعيدة بأن أعلنت زميلتى خبر خطبتها ولم تمض شهور قليلة حتى تقدم لى المعيد يطلب يدى ووافقت وازددت تعلقا به وازداد حبى له. وازدادت معه غيرتى عليه. لم تكن غيرة عمياء لكنها كانت شواهد ودلائل.. ثلاث سنوات فى عذاب حتى فوجئت يوما بينما أعبث بموبايله برسائل وصور يتبادلها خطيبى إلى زميلتى يعترف فيها بحبه وعدم قدرته على نسيانها.. واجهته فبرر بأن احتفاظه بالرسائل

لم يكن مقصودا وأن إعجابه بزميلتى كان لفترة ومضت. لكن لا أصدقه.. أصررت على فسخ خطبتى. لكنه لا يتوقف عن ملاحقتى ومحاولة إقناعى بالعودة إليه.. فهل أعود؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

أنت بالفعل ضحية ليس فقط لمشاعر خطيبك المضطربة.. وإنما أيضا لتلك الزميلة التى لا أعرف بالتحديد هل هى بالفعل مقتنعة بخطيبها ومخلصة له. أم أنها الأخرى تنتمى لتلك النوعية من الفتيات اللاتى يشعرن بالمتعة كلما ازدادت عيون الرجال المصوبة بالإعجاب إليهن. ونصيحتى لك أن تركزى فى دراستك فنجاحك خير سلاح لك فى زمن الغش كما وصفته واتركى للأيام مهمة إهداء شريك حياة يستحقه قلبك البرىء.

وبكلمات أخرى أقول لك:

بكرة ليكى بيناديكى   يهدى أفراحه إليكى
يمسح دموع جرحت عينيكى   وبأحلى غنيوة يهاديكى
تطرح معاه شجر الأمانى   بالهنا تضلل عليكى
وح تنسى وياه الضنا   تشرق شموسه بين إيديكى

○○○

فـراق

لماذا نفتح قلوبنا للحب إذا كان الفراق هو المصير الحتمى لأى علاقة.. إما بسبب الظروف أو بسبب الموت.. ونهاية قصة حبى حسمها الأخير بقسـوة أخذ منى من كانـت كل حياتى فتحت عينى على حبها كانت جارتـى وبين عائلتينـا صداقة وصلت لحد الأخوة فـكان بيتها امتدادا لبيتى وكانت تشـاركنى كل تفاصيل حياتى نذهب للمدرسـة سـويا.. نخرج بصحبة أهلنا معا لشراء ملابس العيد.. تضمنا مائدة إفطار واحدة معظم أيام رمضان نتقاسم أطباق الحلوى وأصناف الطعام المختلفة.. كانت نظرات الأهل تراقب الحب الذى ينمو معنا وتتابعنا بنظرات خبيثة وإن كانـت تحمل عيونهم مباركة لتلك المشـاعر الرقيقـة التى ضمتنا.. كان كل منـا يعـرف أنه للآخر كنا ننتظر فقط أن تنتهى دراسـتنا الجامعية حتى يتم الزواج.. كان كل شـىء يسير وفق ما خططناه حتى ذلك اليوم الحزين.. اسـتيقظت فيه على صرخات أم جارتى وحبيبتى التى ما إن وصلت لأمى حتى أسـرعت إليها لتعود بعد لحظات لترتدى ملابسـها بسرعة بعد أن أخبرتنى بكلمات مقتضبة أن حبيبتى أصيبت بأزمة قلبية وأنها سـتنقل حالا إلى المستشفى.. سـاعات فقط قضتها هناك وفارقت بعدها الحياة.. لماذا ماتت.. أسـتغفر الله.. بل لمـاذا قابلتها أحببتها؟ لماذا سـكنت بجوارى وسكنت روحى وعقلى وكل جوارحى؟ لماذا نحب ونتعلق بآخرين إذا كان الفراق والموت هو مصيرنا جميعا؟

لصاحب هذه الرسالة أقول:

لا أمتلك الشجاعة لمواساتك، ولا أجد كلمات تترجم مدى إحساسى بالألم على تلك النهاية الحزينة لا أريد أن أعيد عليك كلمات أعرف أن كثيرا ممن حولك قالوها مرارا لك لا أريد أن أقول إن الموت هو مصيرنا جميعا وأن الحزن هو الشىء الوحيد الذى يولد كبيرا ثم يصغر.. لا أريد أن أذكرك أن الحياة مازالت أمامك وأن النسيان نعمة وهبنا الله إياها لتساعدنا على تجاوز أحزاننا لكن كل ما أريد أن أقوله إن كثيرا منا مر بمثل تجربتك وإن اختلفت تفاصيلها واكتشفنا بعد ذلك قدرتنا على استكمال حياتنا على رغم كل الآلام التى مرت بنا.. كل منا مر بلحظة قال فيها مثلك:

لما الحياة آخرتها موت　　بنعيشها ليه
إزاى بنفرح أو نحب　　ويتولد جوانا حلم نخاف عليه
ده علشان نعيش لازم نتوه　　لا يوم نفكر جينا ليه
ولا حتى نسأل رايحين لفين

○○○

فارس أحلامى

سنوات أربع مضت أتممت فيها دراستى الجامعية لكن لم تكتمل فيها مشاعرى الإنسانية. طوال سنين الجامعة وأنا أنتظر أن يدق قلبى بالحب مثــل زميلاتى لكن لم يحدث. نضج أم نصيب؟ لا أعرف بالضبط أيهما المسئول عن تأخر ارتباطى. بعد تخرجى تكرر نفس الشىء. التقيت بكثير من الشــباب بحكم عملى إلا أننــى لم أجد بينهم فارس أحلامى. الذى يبــدو أنه يمكث فى خيالى فقط وليس لــه وجود فى الواقع. صحيح إن هنــا كثيرا تقدمــوا لى لكنى لم أر فيهم من يصلح زوجا. ليس غرورا منى لكنه النصيب الذى لم يُهدينى حتى الآن نصفى الآخر الذى أشعر أننى مكتملة به. المشــكلة الآن هى إلحاح أهلى واســتعجالهم لزواجى لدرجة بدت مزعجة لى خاصة عندما تقدم لى أحد أقاربى هو فى نظرهم عريس مناســب أما فى نظرى فهو أبعد إنســان يمكن أن أتصور أن يجمعنى به ســقف واحد. إحســاس كبير بالنفور يجعلنى أرفض مجرد التفكير فيه كصديق وليس كزوج لكنهم لا يقدرون شعورى ويمارسون ضغطهم بإلحاح غير مقدرين لمشاعرى الرافضة له. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

الزواج كما يقولون قسمة ونصيب. وليس معنى أن يتأخر نصيبك قليلا أن تقبلى أى عريس والســلام إرضــاء لأهلك أو هروبا من نظرة المجتمع القاســية. لمن هم فى مثل حالتك. فالقبول هو أهم شــرط فى الزواج وإذا

لم يتوفر فلا ضمان لحياة مستقرة. وإذا لم يقم الزواج على أساس من المودة والتفاهم والميل العاطفى فقلته أحسن. أصرى على موقفك وصارحى العريس المنتظر برفضك.

وبكلمات أخرى قولى له:

فارس أحلامى لسه ... فى زمانى ما قابلتوش
يمكن ف القطر عدا ... لكنى ما لمحتوش
لكنى أكيد وواثقه ... إنك ما تشبهوش
صورتك فى القلب باهته ... وصوتك ما بيمسوش

غـيـرة

يقولون إن الغيرة دليل على الحب. لكنى أراها دليلا على الشك وعدم الثقة بالنفس أو فى الطرف الآخر. هذه القناعة وصلت إليها بعد ارتباطى بشـاب غيور إلى أقصى حد تلاحقنى نظراته أينما جلسـت، يفتش فى نوايا أصدقاء أقابلهم بالصدفة أو زملاء تحتم علىّ ظروف عملى التواصل معهم. لم تفلح محاولتى بإقناعه بأنه وحده من امتلك قلبى. وأنه وحده من يحتل تلك المكانة التى لا يحظى بها أحد سواه. ولكن كلماتى كانت تضيع هباء، لا يتعدى تأثيرها أكثر من دقائق تبدو فيه ملامح السـعادة والارتياح على وجهه لكنها سرعان ما تتلاشى أمام نوبة من غيرة حمقاء أخـرى، وهو مـا دفعنى للتفكير الجدى فى الانفصال عن هذا الشـاب على رغم حبى له وعلى رغم ثقتى فى حبه لى وبالرغم من تلك الصفات الجميلـة التى يتمتع بهـا ولا أتصور أن أحدا يمكـن أن يمنحنى ذلك الإحساس بالسعادة سواه لكن غيرته تخنقنى وتدفعنى للتفكير بالتضحية بحبه خشية أن يضيع يوما ذلك الحب بسبب هذه الغيرة المجنونة.

حقيقة أنا حائرة، ساعدينى على اتخاذ قرار؟؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

مع إيمانى بأن الغيرة بالفعل هى دليل على الحب لكننى أؤمن أيضا أنها مطلوبة بقدر معين وزيادتها يمكن أن تقلل كثيرا من سـعادتنا وهو ما حدث لك فصحيح أننا نحتاج إلى قدر من الغيرة تجعلنا نشعر بالزهو

لتمتعنا بتلك المكانة المهمة فى قلب من نهواه إلا أن زيادتها عن الحد بلا شك تسبب لنا العديد من المشاكل ما أحوجنا لتجنبها فى زمن سخى فى تعكير صفو أيامنا. لذلك أقدر شعورك بالضيق من غيرة خطيبك ومع ذلك لا أنصحك بالتسرع بالانفصال عنه. فمن الصعب أن نعثر على شخص يحبنا بهذه الدرجة من القوة التى وصفتها كلماتك. لذلك أرى أن تمنحيه فرصة أخرى، حاولى فيها بث مزيد من الثقة فيه وطمأنته إلى قدر الحب الذى يربطك به وأعتقد أن نجاحك فى ذلك سيكون كافيا بحل مشكلتك وتذكرى دائما أن أحدا منا لا يخلو من عيوب وعندما نحب نجد أنفسنا نتجاوز ببساطة هذه العيوب.

من هنا أرى أنه من الأصوب لك التريث ولا مانع من الابتعاد فترة عله يشعر بخطورة تلك الحالة التى أوصلتك إليها غيرته، ربما دفعه ذلك للحد منها وإن كنت على ثقة أن الحياة الزوجية كفيلة بمنحه هذا الدرس دون عناء، وحتى يحدث ذلك قولى له:

وليه تضيع سنين حبى فى وهم ظنون
وليه تخلى شكوك بينا وغيرة وجنون
وقلبى ف يوم ما شاف غيرك ولا غيرك لقلبى حنون

غير كل البنات

دائمــا ما تتهمين جيلنــا بأنه لا يعرف الحــب.. وربما كنت محقة فأغلبية شــباب اليــوم لم يداهمهم ذلك الشــعور الطاغــى الذى يمتلك أحاسيســنا وينقلنا إلى عالم ســاحر أثير. لكننى واحــدة من هؤلاء القلة الذيــن آمنوا بالحب وذاقوا حلاوته وتعذبوا أيضا بعذابه.. أحببت بكل كيانى.. كنت أراه فارسا جميلا لأحلامى.. كان يتردد علينا بحكم صلة القرابــة التى تربطنا.. وعندما يأتى كنت أشــعر أننــى فى عالم آخر.. تتداخل فيه الأصوات ولا أسمع إلا صوته.. وتتوه فيه الملامح ولا أرى إلا وجهه وتتضاءل كل الآراء ويبهرنى رأيه.. هكذا كنت أراه حبا ملأ كيانى لكنه لم يكن لى وإنما لشــقيقتى الصغرى والأجمل لا أعرف هل حزنت أم فرحــت أم صدمت لكننى ســرعان ما أفقــت لأحمل الخبر إلى أختى التى دفعتنى فرحتها لنســيان ما تعرض قلبى له من انكســار.. لم أملك سوى النســيان ومشاركة أختى فرحتها التى اكتملت بالزواج بمن أحبه قلبها. أما أنا فوجهت حبى لشىء آخر توجهت إلى الجمعيات الخيرية وترددت على دور الأيتام وجدت فى قلوب أخرى عطشى للحب عوضا لى عــن حب لم يكن من نصيبى.. تتعجبين لكن هذا ما حدث بالفعل.. عوضنــى الله بحــب الناس ما حرمنى منه.. وهذا هــو الفرق بين جيلنا وجيلكم.. جيلنا يســتطيع أن يحول مــن حبه طاقة للعطاء.. نحن أكثر عملية منكم وأنا خير دليل.. فاتنى قطار الزواج.. لكن قطار الحب أبدا لم يفتنى.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

ربما تكونين محقة فأنت ضربت خير مثال على الحب عندما يكسر حاجز الأنانية ليظلل برقته الجميع.. كم أغبطك على إرادتك وشجاعتك وإنكارك لذاتك. وبكلمات أخرى أقولها نيابة عنك:

زى البنات ولا زى الحلم راح مش جاى
لكن بقلب شديد جوايا لسه عنيد
ولوحدى بس أكيد راح أملا عمرى ضى

غرام على النت

كثير ما توجه أصابع الاتهام للإنترنت باعتباره وسيلة غير مناسبة للتعارف وتجربتى أكبر دليل على خطأ هذا الاتهام. فمن خلال النت تعرفت إلى أحد الشباب وأعجبت به وبعد أقل من شهر وافقت على مقابلته وتعددت لقاءاتنا.. واعترف بحبه لى وأنا كذلك.. ومضى على علاقتنا حتى الآن ثلاث سنوات ومازال كل منا مرتبطا ومصرا على الآخر.. ولم أشعر يوما بالندم على هذا الارتباط بل على العكس أشعر أنه كان سببا فى تغيرى نحو الأفضل.

تجربتى خير دليل على أن المشكلة ليست فى النت وإنما فى سوء اختيارنا لمن نصادق ومن نحب.. فإذا حكمنا عقلنا والتزمنا بتقاليدنا وأخلاقنا وكنا يقظين فى التعامل مع الطرف الآخر فمن الصعب أن نخرج بخسائر من هذه العلاقة.

وأصارحك بأن ما ساعد على نجاح تجربتى هو أننى لم أخف أمر هذه الصداقة عن والدى والذى تقبلها بصدر رحب فهو يتميز بسعة الأفق وتربطنى به علاقة صداقة تحسدنى عليها كل صديقاتى.. كان والدى يعوضنى حنان أمى التى رحلت منذ خمس سنوات.. لذلك لم أخط خطوة دون علمه.. وهو ما أكسبنى مزيدا من الثقة فى نفسى وجعلنى أكثر تحملا للمسئولية ومحاسبة للنفس وعدم السماح لها بالشطط حتى لا أفقد ثقة والدى فىّ.

ما أقصد أن أقوله أن العيب ليس فى النت وإنما فى التربية والعلاقات التى تربط الآباء بالأبناء.

لصغيرتى س. ى صاحبة هذه الرسالة أقول:

حمـاك الله وأمثالـك وأدام عليـك رجاحة العقـل وعلاقتك الجميلة بوالـدك.. حقا العيـب ليس فى الإنترنت وإنما فى العلاقات الأسـرية التى شـابها التفكك وعدم الثقة.. ونجاح حالتك كان وراءه تلك الرابطة التى جمعتك بوالدك فكانت عاصما لك.. وإن كنت لا أمنع نفسـى من التساؤل لماذا لم يتقدم هذا الشاب لخطبتك حتى الآن؟

عليـك أن تكونى أكثر حذرا.. وإن كنـت على ثقة أن نصائح والدك ستكون خير معين لك للعبور إلى شط الأمان.. ونيابة عنك أقول:

أجمل مـا تلقى فى دنيتك — قلب بحقيقى يكون صديق
معاك فى فـرحك شـدتـك — ف الـتوهـة يفتحلك طريق
بـقـلـبـه يـسمـع صرختك — إيـديـه أمان لو ف الغريق
لـو لـيـل يـضلـل خطوتك — يكسر ضلامة بميت بـريق

صياد القلوب

أعــترف لك بكل صراحة أننى لا أؤمــن بالحب. صحيح أنّ أعراضه تنتابنى بين الحين والآخر لكنها سطحية يسهل التخلص منها ولم يصل الأمر بى إلى حد الإصابة بهذا الفيروس اللعين.

هذا لا يمنع أننى أســتمتع بمشاعر الحب أو بمعنى آخر أوهم نفسى بذلك إلا أن هذا الوهم لا يتعدى الساعات التى أقضيها مع من اخترتها حبيبة لبعض الوقت. فأنا ملول بطبعى. لا أستطيع تحمل أى فتاة مهما بلغت درجة إعجابى بها أكثر من شهر. بعدها انفض على طول.

صحيح أن حنينا جذبنى يوما لإحداهن كانت أقرب لقلبى وشــعرت أننــى كدت أتورط فــى غرامها. لكننى أفقت ســريعا وارتبطت بأخرى على الفور حتى لا أشعر بفراغ ربما يدفعنى لعلاقة حب حقيقية تقودنى لخطوبة وزواج والعياذ بالله. لست دون جوان لكننى وأمثالى من الشباب نعيش بشكل واقعى ندرك أن لكل عصر سماته وحب هذا الزمان كفاكهتنا المهجنة بلا شكل ولا طعم ولا رائحة.

لصاحب هذه الرسالة أقول:

مســكين أنــت وأمثالك ممن حرمهــم الله نعمة الحب. هذا الشــعور الــذى آثرنا بجماله. فصارت حياتنا أحلى. أشــفق عليك لحرمانك من هذه المشاعر. وأتمنى أن تصيبك لعنة الحب. فتنتقم من مشاعرك الجامدة وتجعلها أكثر رقة. وتعيد لقلبك الميت الحياة.

أو بمعنى آخر أقول لك:

يا للى بتلعب بالقلوب حاسب أوى واحتاط

مش كل مرة الخية تنفع بها تصطاد

ولا كل مرة ضحية تقع ف إيد صياد

ومسيره يوم ويصيدك اللى نويت تصطاد

شياطين وملائكة

شـيطان أم مـلاك؟ طيب أم شـرير؟ حنون أم قـاس؟ احترت بينما أصنف الشـاب الذى أحببته، هو طموح معطاء، شهم ناجح فى عمله، لكنه أحيانـا يبدو لى حـادا عنيفا عنيدا، صحيـح أنها مجرد لحظات سـرعان ما يعود بعدهـا معتذرا محاولا إصلاح ما أفسـده فى لحظات. إلا أنها أصابتنى بالتردد فى قبوله شريكا لحياتى بعد أن تقدم لخطبتى على رغم حبى الشديد له فعقلى دائم التساؤل عن حقيقته هل هو شيطان أم ملاك؟ ويحذرنى من الارتباط به أما قلبى فيدفعنى إليه ملتمسا العذر له مهونا من صفاته السـلبية لا أعـرف أيهما على صواب، هل حبيبى شيطان أم ملاك؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

ليس شيطانا ولا ملاكا لكنه إنسان مثلنا جميعا بداخله قدر من الطيبة وقدر من الشـر وإن كان من الصعب على أى منا أن يصنف نفسـه على أنه شـرير فكل منا يرى نفسـه طيبا ويغفل أو يتغافل عما فى نفسه من شـرور فى الوقت الذى يسـهل عليه إطلاق أحكام مطلقة على الآخرين وفق تصرفاتهم الظاهرة ومعاملتهم معه وموقفهم منه وبالطبع لا يسلم أى منا من المفاجأة عندما يصدر ممن نعتبرهم ملائكة بأفعال تشـى بالخبث والشـر والعكس صحيح قد يبادر من نراهم شـياطين بأفعال تظهر قدرا من الرحمة والطيبة والجدعنة لسنا إذن شياطين ولا ملائكة فكلنا بشر..

نخطئ ونصيب.. داخلنا نقاء وفجر.. رحمة وقسوة.. حكمة وتهور.. من الخطـأ أن نلجأ لهذه التصنيفات الحادة فكثيرا ما تكون مضللة وكل ما نستطيع أن نفعله أن نختار من نراهم على شاكلتنا فنشعر معهم بالارتياح لتوافق خصالنا وقيمنا وميولنا وقتها سنراهم فى أعيننا طيبين:

وبكلمات أخرى أقول:

مـفـيـش فـيـنـا ملايكة ولا فيه كمان شـياطين
جـوانـا نـص طـيـب ونـص تـانـى لـعـيـن
ومين ف نفوسنا غالب عايشين ومـش عارفين

شكل تانى

هو لســه فيه حاجة اسمها حــب!! والله ما عداش علينا قبل كده.. أو عدا بس بشكل تانى غير اللى كان فى عصركم تقولون أنه رفيق جميل يجعل الحياة أكثر بهجة.. والقلوب أكثر سعادة.

فى رأيى إنها مشاعر ساذجة فالعلاقات الآن كلها طيارى عابرة تنتهى بانتهاء التيرم وليس العام الدراسى.. أنا شخصيا أحببت حتى الآن ثلاثة من زملائى بالجامعة على رغم أننى مازلت فى السنة الثانية.. فى التيرم الأول ارتبطت بزميل لى جذبنى بخفة دمه وجنونه.. كنا نمضى ساعات طويلة نتحدث ونضحك ويســتمر الحال عدة شهور.. بعدها شعرنا بالملل وقررنا الانفصال وكانت امتحانات التيرم على الأبواب.

مع بداية التيرم الجديد شــعرت بالوحدة وتودد لى زميل آخر وتكرر معه نفس الإحساس إعجاب وتقارب وموبايلات وشات وهدايا ثم ينتهى كل ذلك بالضجر والملل والفتور.

فى العام الدراســى الجديد قررت ألا أكرر التجربة.. إلا أن شــعورى بالوحــدة خاصة بعدما ارتبطــت كل صديقاتى بزملاء لهن ولم يعد لهن وقــت لى كل ذلك جعلنى أفتح قلبى لزميــل آخر كان منتهيا بدوره من علاقة حب جمعته بزميلة معنا فى الدفعة.. ادع لى بالاستقرار.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

ســأدعو لك بحب يزلزل مشــاعرك، فكل ما مــررت به من تجارب لم تكــن حبا حقيقيا وإنما كانت صورة مشــوهة ووهما للحب ومشــاعر

الحب واحدة لا تتغير بتغير الزمن.. فالحب لحن جميل يعزف بشكل واحد على مر السنين.. ربما تطرب آذان لسماعه وربما تهرب آذان أخرى منه.. لكن أعتقد أن من بينكم من عرفه وذاق حلاوته.. انظرى فى عيون المحبين ستجدى ذلك البريق الصادق الفاضح لمشاعر جميلة رقيقة أتمنى أن تعيشيها يوما.

وبكلمات أخرى أقول:

ياما قالوا عنه اختفى ولا عاد له بينا وجود
غاب الحنين والوفا والكدب ماله حدود
أنا قلت يحيا الحب نبع الحنان والجود
لا عمره يوم يختفى ولا عمره يوم ح يموت

○○○

رومانسية

لم أحلم يوما بعريس ذى مال أو جاه.. كان حلمى أن أكون ملكة متوجة علــى قلب من أحــب ويكون ملكا متوجا على قلبــى.. فالحب عندى أهم كثيرا من تلك المظاهر الكاذبة المؤقتة.. أما المشــاعر فهى الخالدة.. خيالية رومانســية ســاذجة هكذا وصفتنى صديقاتى وشخصن حالتى بأنها ميئوس من شــفائها وامتثالها للواقع.. لم أبال كثيرا بســخريتهن ولا تحذيراتهن. كنت أعتقد أننى على صواب لكن مع مرور الســنين بدأ الشــك يتسرب إلى نفســى فعمرى الآن تجاوز الثلاثــين ولم أعثر بعد على فتى أحلامى عكس صديقاتــى اللاتى نجحن فى دخول عش الزوجية وإن كن قدمن من وجهة نظــرى تنازلات لا يمكــن أن أقبلها فمنهن من تزوجــت من رجل يكبرها بخمســة عشــر عاما وأخرى قبلت الزواج من رجل متزوج قبلن ذلك سعيا وراء حياة مادية رغدة ميســورة مرفهة.. صعب تحقيقها إذا ما أقدمن على الزواج من شباب فى مثل أعمارهن.. إلا أن ذلك الاختيار لم يحقق السعادة لهن.. لكنهن أمام المجتمع أصبحن زوجات عكس حالى أشــعر بالحيرة لا أعرف أينا على صواب وأينا على خطأ؟ هل كان على أن أسير على خطى صديقاتى لأتزوج وأتجنب نظرة المجتمع لمن فى مثل حالتى؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لم يكن الحب يوما ذنبا نشعر بالخطأ عندما نلهث وراءه لكن من غير المعقول أن يتحول الحب إلى وهم وسراب نقضى حياتنا فى البحث عنه.

فهنـاك التفاهم والعشـرة والقبول والمودة والرحمـة التى يمكن أن تكون جميعها أساسا لحياة زوجية سليمة. أقول لك هذا حتى تعطى لمن يطرق بابك فرصة فعليك أن تكونى أكثر واقعية ولا أطلب منك أن تسيرى على نهج صديقاتك فاختياراتهن خاطئة ولا تحقق اسـتقرارا أسريا.. أما عن نظرة المجتمع فأقول عنها:

لما يتأخر نصيبك أوعى تأخدك الهموم
عـيـشـى يـومـك زى غـيـرك
ولا تـهـربـيش مـنـه بـظـنـون
كـونـى مـرتـاحـة لـمـصـيـرك
تـمـلـكـى كـل الأمـور
والـرضـا خـلـيـه أثـيـرك
تـخـضـر روحـك ولا يـوم تـبـور

○○○

ذقن بلا دين

أتعجب من أولئك البشر الذين يرتدون أقنعة الدين بينما تعكس أفعالهم نفوسا شيطانية.. للأسف من أحببت كان واحدا منهم، بهرنى بتدينه الظاهرى حرصه على الصلاة فى وقتها.. كلامه الذى يتعمد فيه ذكر الله كثيرا.. آراؤه التى يدعمها مستشهدا بكتاب الله وأحاديث نبيه.. صوته بدا لى خاشعا.. وإن كان بريق عينيه يشى بورع ظاهرى. لاحظت ذلك لكنى كذبت نفسى كان انبهارى وإعجابى بتدينه يئد أى شك يمكن أن يتسلل إلى عقلى.. وبادلنى إعجابا بإعجاب. وتحول الإعجاب إلى حب. ازددت قربا منه.. فتكشفت لى حقيقته.. كذوب مخادع نمام يهوى الوقيعة بين الناس الغريب أنه يفعل ذلك بشكل تلقائى طبيعى دون أن يتسلل إلى نفسه أى شعور بالذنب.. والأغرب أنه يفعل ذلك بينما يهرع للصلاة إذا ما سمع صوت المؤذن مناديا للصلاة. سقط قناع التدين الظاهرى أمامى فآثرت الابتعاد. فهل أنا مخطئة؟ وهل من الأفضل أن أساعده على مقاومة الشر داخل نفسه؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

مشكلتنا اليوم بالفعل هى ذلك التدين الظاهرى المتمثل فى الاهتمام بقشور الدين وليس جوهره فى الاهتمام بالعبادات وإهمال المبادئ والمعاملات وأهم مبدأ هو الصدق مع النفس ومع الناس فالمؤمن لا يكون أبدا كذابا فهى صفة تتناقض تماما مع التدين. من هنا أرى أن ابتعادك عن هذا الشاب أفضل. واتركى مهمة تقويمه لضميره.

أما عن هؤلاء المتلاعبين بالدين فأقول عنهم:

التقوى مش بحجاب ولا سبحة ولا دقون
ده خشانا م الرحمن جوه القلوب مدفون
ياما جوه سَفرة إيمان تصبح بها مفتون
وكتير خانوا الأديان ورا حجاب مأمون

دعوة للتفاؤل

ارتبطت بزميل لى بالجامعة.. أعجبنى فيه تفوقه وأدبه وحديثه بدأت علاقتى بإعجاب شـديد سرعان ما تحول إلى حب ملأنى سعادة وبهجة وحبـا للحياة.. وكلمـا ازددت اقترابا منه ازددت حبـا وإعجابا بتلك الشـخصية الوقورة التى تختلف عمن هم فى مثل سنه.. لكنى لاحظت أن هذه الجدية اتخذت شـكلا آخر بعد فترة من ارتباطنا فبدأت تظهر عليها مسـحة كبيرة من التشـاؤم كنت أعرف أن شخصيته تميل إليها لكنهـا كانت بالقـدر المحتمل.. أما الآن فأشـعر أن الأمر أصبح مبالغا فيه.. كلماته اختفت منها عبارات الغزل التى طالما أسعدتنى.. تحولت إلى لغة مليئة بالحسـاب والأرقام والتوقعـات والاحتمالات كلها تعكس خوفا واضحا من مستقبل مجهول.

حاولت جاهدة بث قدر من التفاؤل فيه.. لكن محاولاتى تضيع سدى تؤكدها تلك النظرة الحزينة التى تطل من عينيه وتشـى بقتامة المستقبل كما يراه.. لا أدرى ماذا أفعل؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لا أعرف إن كان من حسـن حظك أن تلتقى بهذه الشـخصية الجادة فـى زمن يتسـم بالهزل والجنون والعبثية أم العكـس ومع ذلك أرى أن من واجبك أن تقفى بجانب من أحببته تدفعينه للنجاح وتحولى تشاؤمه لطاقة عمل وأتوقع أن النجاح سـيكون حليفه.. دورك أن تدفعيه للنظر

لنصــف الكوب الممتلئ وأن تحاولى إقناعه بأن الدنيا تحتاج من يضحك عليها كى تضحك هى له..

وبكلمات أخرى قولى له:

لو تحضن الدنيا تحرجها تضحكلك

وإن يـوم ح تـلعنها حتجرها لشكلك

تـغـمـز تداويها ولا عـمـرها تشاكلك

ح تسب بلاويها تلعن فى أبو شكلك

خيانة صديق

أحببت زميلا لى بالجامعة لكن خجلى منعنى أن أخطو الخطوة الأولى لألفت نظره إلى.. كتمت مشاعرى ولم أبح بها سوى لصديقتى الأقرب والأكثر جرأة منى.. كانت على نقيضى فى كل شىء لدرجة كانت تثير تعجب كل من حولنا الذين كانوا يعقدون دائما مقارنات بيننا تميل فى الغالب لصالحى، وكانوا أحيانا يصرحون لى بأننى أكثر طيبة ويحذروننى من صفات غير طيبة فيها. لكنى لم أهتم كثيرا بتحذيراتهم.. فكان حبى لصديقتى أكبر من أن يجعلنى أشك يوما فى إخلاصها لى.. لم أشعر يوما بهذا القناع الذى أحكمت تثبيته على وجهها إلا أن الأيام كشفته لى.. حدث ذلك بعد أن نجحت فى تقريبى من الشاب الذى أحببته والذى بادلنى حبا بحب.. كم كانت فرحتى عندما اعترف لى بمشاعره يومها كدت أطير من الفرحة وأسرعت لأخبر صديقتى وأشكرها فقد كان لها الفضل فى تقريب المسافة بينى وبين من أحببت.. وكم تعجبت من حالة الفتور التى استقبلتنى بها والتى بررتها وقتها بأنها من أثر المفاجأة.. لكنى اكتشفت فيما بعد أنها بسبب الغيرة.. تلك التى دفعتها أن تفعل المستحيل حتى تنال قلب من أحببت.. وللأسف نجحت فى ذلك لم يكن وراء ذلك إحساس بالحب تجاهه.. وإنما كان الدافع وراء ذلك هو رغبتها فى الاستحواذ على إعجاب أى شاب تقع عيناها عليه.. لكنى لم أتصور أن تفعل ذلك مع الشاب الذى أحببته.. صدمتى فيهما

جعلتنى أفضل الابتعاد والانسحاب.. عرفت فيما بعد أن علاقتهما لم تستمر طويلا حاول بعدها أن يعود إلى مبديًا ندمه بعد اكتشافه الفارق الكبير بينى وبين من كانت صديقتى لكنى رفضت.. مشكلتى الآن أننى فقدت الثقة فى الناس ولم يعد من السهل على أن أفتح قلبى مرة أخرى لأى شاب..

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

دنيانا التى نعيش فيها تحتاج لقلوب قوية عنيدة لا تستسلم بسهولة للإحساس بالفشل.. ليس معنى أن تمرى بتجربة فاشلة أن توصدى قلبك أمام الجميع.. وخيانة من كانت صديقتك لا تجعلك تفقدين الثقة فى كل من حولك.. لقد أسأت اختيار صديقتك هذا هو الخطأ الوحيد الذى وقعت فيه.. لكن لا يعنى ذلك أن تنعزلى عن الناس وترفضى الاحتكاك بالآخرين.. من الخطأ أن تستسلمى للشعور بالهزيمة والانكسار.. تغلبى على ذلك وافتحى قلبك للحياة.

وبكلمات أخرى أقول لك:

ولا يهمك
لو اتأخر كتير حلمك
ولو زادت هموم حملك
ده كله يهون ما دام ألمك
تمن مدفوع دليل نبلك
ولا يهمك

○○○

حبيبى أصغر منى

منــذ صغرى أتميز برجاحة العقل.. ربما كان هدوئى وحبى الشــديد للقراءة وراء تميزى بهذه الســمة التى أبــدو بها لمن حولى أننى أكبر من ســنى الحقيقى وإن كانت ملامحى عكس ذلك فهى أقرب للطفولية وإن سبب إحساسى بالضيق بعض الوقت هو أننى أراها الآن ميزة وهبنى الله إياها لم أدرك حكمته إلا بعد أن دق قلبى بالحب.. لم يحدث ذلك فترة المراهقة وتكرر نفس الشــىء فترة الجامعة.. حتى التقيت به حدث ذلك بعد تخرجى وعملى فى إحدى شركات السياحة كان يتردد على الشركة فقد كان عاشقا للسفر.. جذبنى إليه بسبب ثقافته وعقله وهدوئه ودفعنى حب الاســتطلاع لمعرفة المزيد عنه وكم كانت صدمتى عندما عرفت أنه يصغرنى بثلاث سنوات لكنها كانت كافية لأن تجعلنى أصدر أمرا فوريا لعقلــى بالكف عن التفكير فيه.. الغريب أننــى فى الوقت الذى قررت فيه الابتعاد قرر هو الاقتراب وزادت الحجج التى يســوقها للتردد على الشــركة متعمدا أن يكون تعامله معى فيطيل الحديث الذى كشــف من خلاله كل منا للآخر عن مدى اهتمامه وإعجابه والذى دفعنا للقاء خارج الشــركة.. تعددت لقاءاتنا وانتهت بأن طلب يدى للزواج أيقظنى طلبه فردنى إلى عقلى فآثرت الهرب منه على رغم علمى أن أســرته لا تمانع زواجنا.. على رغم علمها بفارق السن وكذلك أسرتى لكن عقلى فقط من يخشــى هذا الزواج خوفا أن يكون فارق الســن سببا لمشاكل أنا فى غنى عنها.. فهل أنا على صواب أم لا؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

لكل قاعدة استثناء وإذا كانت القاعدة أن يكبر الزوج زوجته بعدة سنوات على أساس أن مظاهر الشيخوخة تبدو أسرع على المرأة إلا أن كثيرا من السيدات حولنا ضربن بهذه القاعدة عرض الحائط من خلال اهتمامهن برشاقتهن وصحتهن وجمالهن لتبدو كثيرات أصغر من سنهن الحقيقى وأعتقد أنه يمكنك أن تكونى واحدة من هؤلاء.. فارق السن ليس وحده المعيار الذى ينبغى أن يحكم اختيارنا لشريك حياتنا فالتوافق النفسى والعقلى والثقافى أهم وهو ما يتوفر فى علاقتكما. لا تترددى وافتحى قلبك للحب واقبلى الزواج ممن اختاره قلبك وعقلك.

وبكلمات أخرى أقول لك:

الحب هو قدرنا ... فوق الجبين مكتوب
لو حتى كان باختيارنا ... ما كنا عنه نتوب
وقلوبنا أجمل ما فيها ... لما تحب تدوب
وحياتنا إيه أو مصيرنا ... من غير لقا المحبوب

○○○

حائرة

أشعر بالحيرة.. أبدو مختلفة وسط زميلاتى بالجامعة.. كثيرا ما وجهوا لى سهام الانتقاد.. سمعتهم يتهامسون ويطلقون على وسط ضحكاتهم «ماما ستو».

فاتحت أمى بما أشعر به. ردت بكلمات حادة عنيفة اتهمت صديقاتى بالهيافة والدلع. لكنى حائرة أشعر أنى غريبة.. كم حلمت بالارتباط بعلاقة عاطفية مع زميل لى بالجامعة.. لكن خجلى يمنعنى ويبدو أنه يمنع الشباب أيضا.. فشباب اليوم يفضل الفتاة الشقية الجريئة.. وأنا لست كذلك أشعر بالحيرة، يمزقنى التناقض الرهيب بين قيم تربيت عليها وبين حياة مرحة جميلة تتخطى أحيانا التقاليد والقيم المتعارف عليها لكنها تشع بالبهجة.. أنا حائرة مقتنعة بكلمات أمى لكننى معجبة بحياة صديقاتى.. أيهما على حق وأيهما على صواب؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

طبيعى أن تشعرى بالحيرة ولست وحدك فى ذلك.. فالقيم من حولنا التى اهتزت كثيرا.. جعلتك وأمثالك يظهرن على هذه الدرجة من الغرابة وربما سبب ذلك كثيرا من الضيق وكثيرا من التعب لكن صدقينى أن الأمر لا يبدو صعبا على هؤلاء الذين يدركون تماما صحة اختياراتهم مهما تحملوا فى سبيل ذلك من عناء ومشقة..

لا شك أن والدتك من هذه النوعية التى مازالت ترى فى القيم العاصم من شر أيام عجيبة.. وعليك بالطبع أن تلتزمى بنصائحها.. لكن فى نفس

الوقت عليك ألا تنفصلى عن طبيعة الحياة فى زمنك.. ومسـايرة العصر لا يعنـى كلامى أن تتخلى عن مبادئك التى تربيت عليها.. ولا تجعلى من تمسـكك بمبادئك وقيمك قيدا يحول بينـك وبين الحياة. فليس من الصعب أن نقطب زهرة الحياة دون أن نجرح أيدينا.

وبشكل آخر أقول لك:

يـا اللى الـزمـن حـيـرك لـيـه مـنـه لـيـه تـحـتار
إن يـوم رضـيـت بـالـهـم ح تـعـيـش تملى فى نـار
وإن يـوم قـدرت عـلـيـه لـن يـجـرفـك تـيـار
وفى حكمه يا تعيش عبد يـا تـكـون مـن الأحـرار

○○○

جنون

دنيتنا مجنونة أم نحن من أصابه الجنون؟! حكايات كثيرة من حولى كلهـا تثبت لى جنون هذا العالم الـذى يضمنا... نعيش فيه غرباء حتى عن أنفسـنا.. وأنا واحدة من هؤلاء الغرباء المجانين.. تعرفت إلى زميل لى بالجامعـة وشـعرت بارتياح كبير تحول إلى إعجاب وأحسسـت أنه يبادلنى نفس المشـاعر.. لكنه لم يصـرح لى.. كانت علاقتنا فى بدايتها عندمـا اقتحمها شـقيقه الذى كان أكثر جرأة منـه وخبرة ويكبرنا بعدة سـنوات.. اعترف لى بإعجابه وبحبه لى فى الوقت الذى بدأ فيه زميلى ينسحب مفسـحا الطريق أمام قلبى لمشاعر أخيه.. شعرت بالحيرة لكن أمـام إصرار شـقيق زميلى بـدأت أتجاوب معه.. وكأنه أراد أن يشـل تفكـيرى تماما فتقدم سـريعا بطلب يدى.. تـرددت ثم وافقت.. وتمت الخطوبة التى لم تستمر سوى بضعة شهور حدثت خلالها مشادات بين العائلتين انتهت بفسخها.

لا أعـرف كيف وجدتنى مندفعة نحـو حبى الأول مرة أخرى ربما لأنه مهـد لى الطريق.. اعترف بحبه وأنه آثر كتمان مشـاعره احتراما لأخيه.. مضـت على علاقتنا عدة شـهور لاحظت فيها نظرات شـقيقه تكاد تقتلنا بالرغم من أنه ارتبط بفتاة أخرى.. لا أدرى هل أستمر فى علاقتى أم لا؟

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

طبيعى فى مثل سنك أن تشعرى بمثل هذه المشاعر غير المستقرة وكلما ازددت خبرة ونضجا سيكون اختيارك أكثر عقلانية وثباتا ولا أعتقد أن

النجاح سـيكون حليف علاقتك بزميلك.. ليس فقط بسبب شقيقه وإنما أيضا بسبب الخلافات التى دبت بين العائلتين.. حكمى عقلك واتركى الأيام تهدى لك رفيق الدرب المناسب.

أما عن جنون الأيام فكلنا عانينا منها ورددنا معك:

مـجـنونـة دنـيتنا وجنانها ملهوش حـد
علشان تعيش فيها متخدش حاجة بجد
لا فرح فيها بيدوم ولا حزن ملهوش حد
والكل فيها محروم ولا حـد فـاهــم حد

الشات وسنينه

ملعون الشات وملعونة الساعات التى قضيتها أتعرف من خلاله إلى غرباء يصبحون بحكم التعود والعادة من أقرب الناس إليك.

من خلال الشات تعرفت إليه.. جذبنى بمرحه وخفة دمه.. كنا نقضى الساعات لا نشعر بها.. ومع إلحاحه قررت مقابلته.. وتكررت لقاءاتنا.. شعرت بحب قوى يربطنى به.. وبدا لى أنه يبادلنى نفس الشعور.

استمرت علاقتى به عاما كان كل يوم يزيدنى قربا وحبا له.. وعلى العكس يزداد هو ابتعادا وجفاء. وأخيرا اكتشفت أننى لست الوحيدة فى حياته.. وأن هناك فتيات أخريات يخدعهن ويوهمهن بحبه وللأسف كانت صديقتى واحدة من هؤلاء.

اكتشفت أنا وهى خداعه.. فقررنا الانتقام ومواجهته.. واعدته صديقتى وأخبرتنى بالميعاد حتى أفاجئه.

الغريب أنه بدلا من أن يخجل مما فعله انتابته حالة من الضحك وأسرع بالفرار من أمامنا.

أشعر بالحمق ولم أعد أثق بأى شاب مهما حاول التقرب إلىّ.

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

للشات ميزة وله أيضا عيب.. هو يفتح مجالا واسعا للصداقة والتعارف لكنه فى نفس الوقت قد يدفع البعض لمنح ثقة لآخرين ربما لا يستحقونها..

لا شـك أنك تسـرعت فى ثقتك بهذا الشـاب.. واحمـدى الله أنك اكتشفت حقيقته.. وطبيعى أن تجعلك هذه التجربة أكثر حذرا وتريثا.. لكـن هذا التريـث لا يجب أن يمنعك من أن تفتحـى قلبك مرة أخرى للحب وافتحى قلبك لكن لا تنسـى أن تسـمعى أيضا صوت عقلك حتى يكون اختيارك موفقا.

وبكلمات أخرى أقول لك:

قـلـبـك ده كـنـز كـبـيـر ولا حـد يـسـتـاهـلـه
إلا اللى يـسـهـر لـيـل يـشـتـاق ويـنـدهـلـه
وإن جيت فى يوم حنيت لـحـبـيـب نـاوى تبوح له
وف عـيـنـه صد لاقـيـت فـكـر ولا تـروح لـه

الحب الصامت

نظرة فابتسامة لكنها لم تفض لموعد ولقاء.. تفتح قلبى على حب جارى لكنه كان حبا صامتا.. اكتفينا برسائل تحملها عيوننا.. يتابعنى أينما ذهبت وألاحقه بعيونى أينما حل.. أعوام مضت ونظرات كل منا تحمل حنينا وشوقا وتعلقا بالآخر.

لكن إلى متى الصمت.. كم اشتقت لسماع كلمة منه.. كم حلمت به يقترب يحتضن بيديه أصابعى.. يأخذنى بعيدا عن فضول عيون الجيران.. يهمس فى أذنى بكلمات تحملنى إلى عالم رائع أثير.. لكنه آثر الصمت.. والتمست لصمته الأعذار.. أفكر أن أخطو الخطوة الأولى.. فهو كأغلب الشباب مستقبله مرهون بمجهول إما يبتسم له الحظ ويعثر على فرصة مناسبة للعمل أو يقطب جبينه فينضم لملايين العاطلين.. أنا مستعدة أن أتحمل وأكون عونا له على أيام تبدو قاسية صعبة.. هل تنصحيننى بأن أفعل.. أم ينبغى علىّ الانتظار حتى يأتينى معترفا بحبه؟!

لصاحبة هذه الرسالة أقول:

الحب الحقيقى لا يحتاج لكل هذه السنوات ليكسر حاجز الصمت ويعلن عن نفسه.. فى رأيى أن مشاعر جارك لا تخرج عن كونها مجرد إعجاب.. أما عن الظروف المادية فهى ليست مبررا للصمت.. فكم من شاب مر بنفس الظروف ولم يمنعه ذلك من الاعتراف بحبه..

لو أحبك حقيقة لاعترف وترك لك حرية الاختيار.. لا أنصحك بالخطوة الأولى.. فربما كانت مشاعره نحوك ليست حبا وإنما وهم للحب.

وبشكل آخر أقول لك:

كان ياما كان بنوته فتح قلبها
على نظرة من ابن الجيران
كان هو فارس حلمها كان ضلها
على صورته كانت تصحى وتنام
سنين وفات على عشها خان عشها
ولا هان.. عليه يرمى السلام
بنوته دى انتى وأنا نحكى سوا
على وهم حب ابن الجيران

○○○

الفهرس

الإهداء..... ٣
مقدمة..... ٥
وحيدة..... ٨
ندم..... ١١
نبع الحنان..... ١٥
لحظة ضعف..... ١٨
قلب كبير..... ٢١
شبح الموت..... ٢٥
زواج مرفوض..... ٢٨
رحيل ملاك..... ٣١
خطيب ابنتى..... ٣٥
جبروت امرأة..... ٣٨
ثمن الضعف..... ٤٢
أنا اعتزلت الغرام..... ٤٦
امرأة بلا قلب..... ٥٠
اللص..... ٥٤
الدكتورة الممرضة..... ٥٧
الحنان المفقود..... ٦١
الحقيقة الجارحة..... ٦٤

الحب الوحيد.....٦٨
أبغض الحلال.....٧١
التوأم.....٧٦
المدمن.....٧٩
ثمن الغربة.....٨٢
رحيل الأحباب.....٨٥
صداقة.....٨٨
فوات الأوان.....٩١
مهب الريح.....٩٥
الزوجة اللصة.....٩٩
التجربة.....١٠٢
الجاحدة.....١٠٥
الصدمة.....١٠٨
القدوة.....١١١
بعد الخمسين.....١١٥
دموع أم.....١١٦
رد الجميل.....١٢٣
صرخة.....١٢٦
قلب حائر.....١٣٠
قرار مؤجل.....١٣٤
سنة أولى حب
وشوش.....١٣٨

كلام الناس.....١٤٠
قلب جريح.....١٤٢
فراق.....١٤٤
فارس أحلامى.....١٤٦
غيرة.....١٤٨
غير كل البنات.....١٥٠
غرام على النت.....١٥٢
صياد القلوب.....١٥٤
شياطين وملائكة.....١٥٦
شكل تانى.....١٥٨
رومانسية.....١٦٠
ذقن بلا دين.....١٦٢
دعوة للتفاؤل.....١٦٤
خيانة صديق.....١٦٦
حبيبى أصغر منى.....١٦٨
حائرة.....١٧٠
جنون.....١٧٢
الشات وسنينه.....١٧٤
الحب الصامت.....١٧٦
الفهرس.....١٧٨